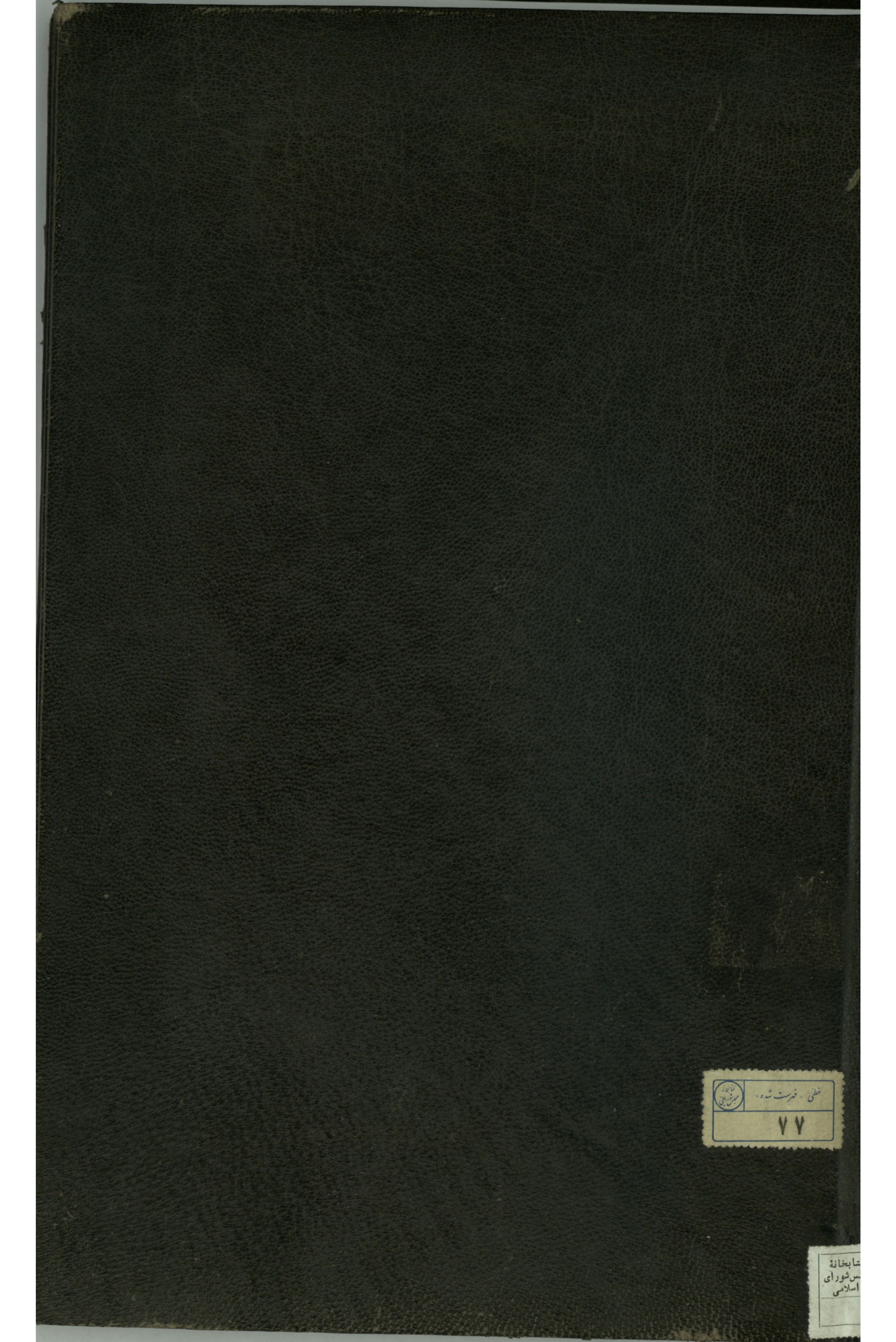
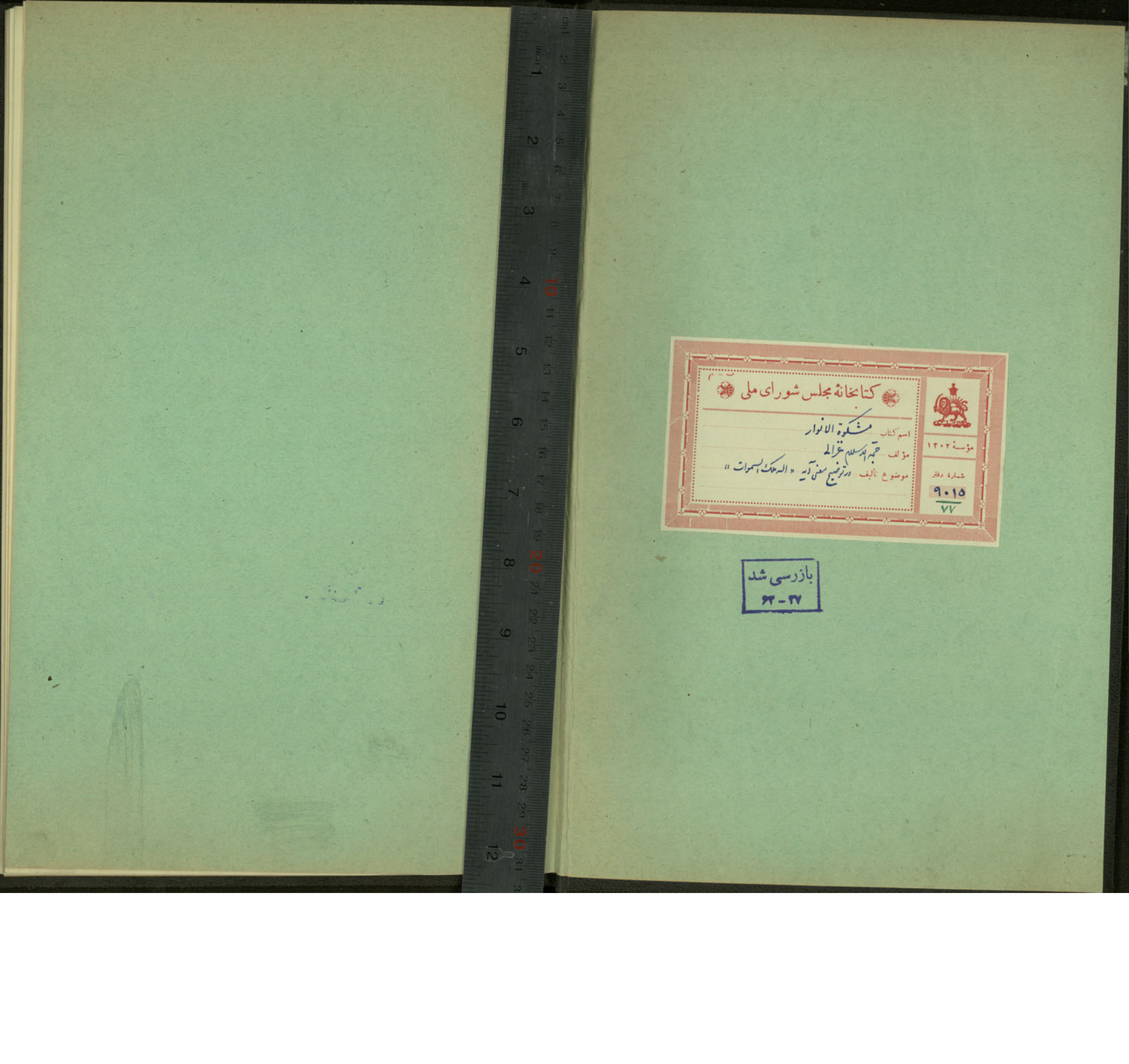
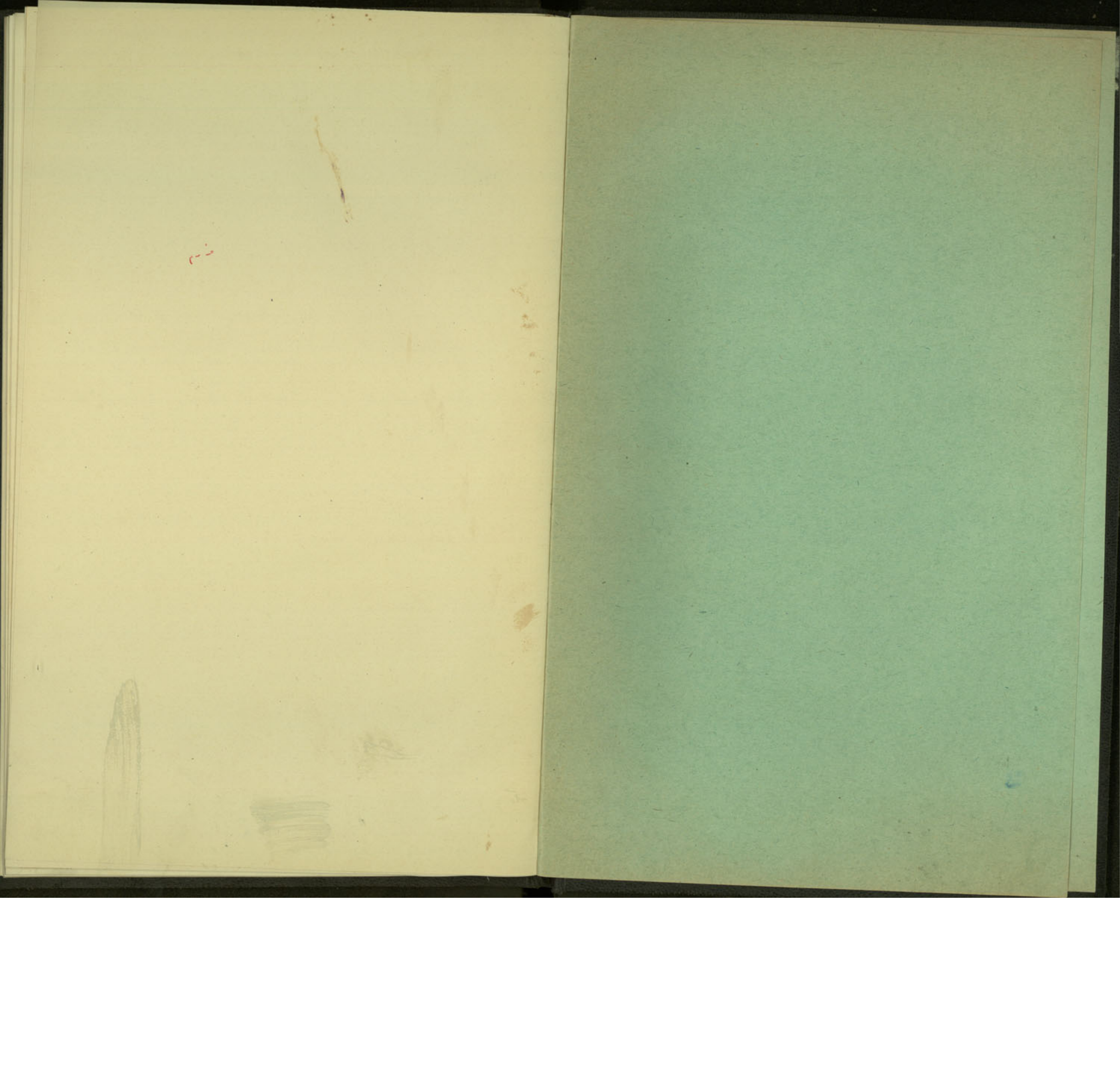
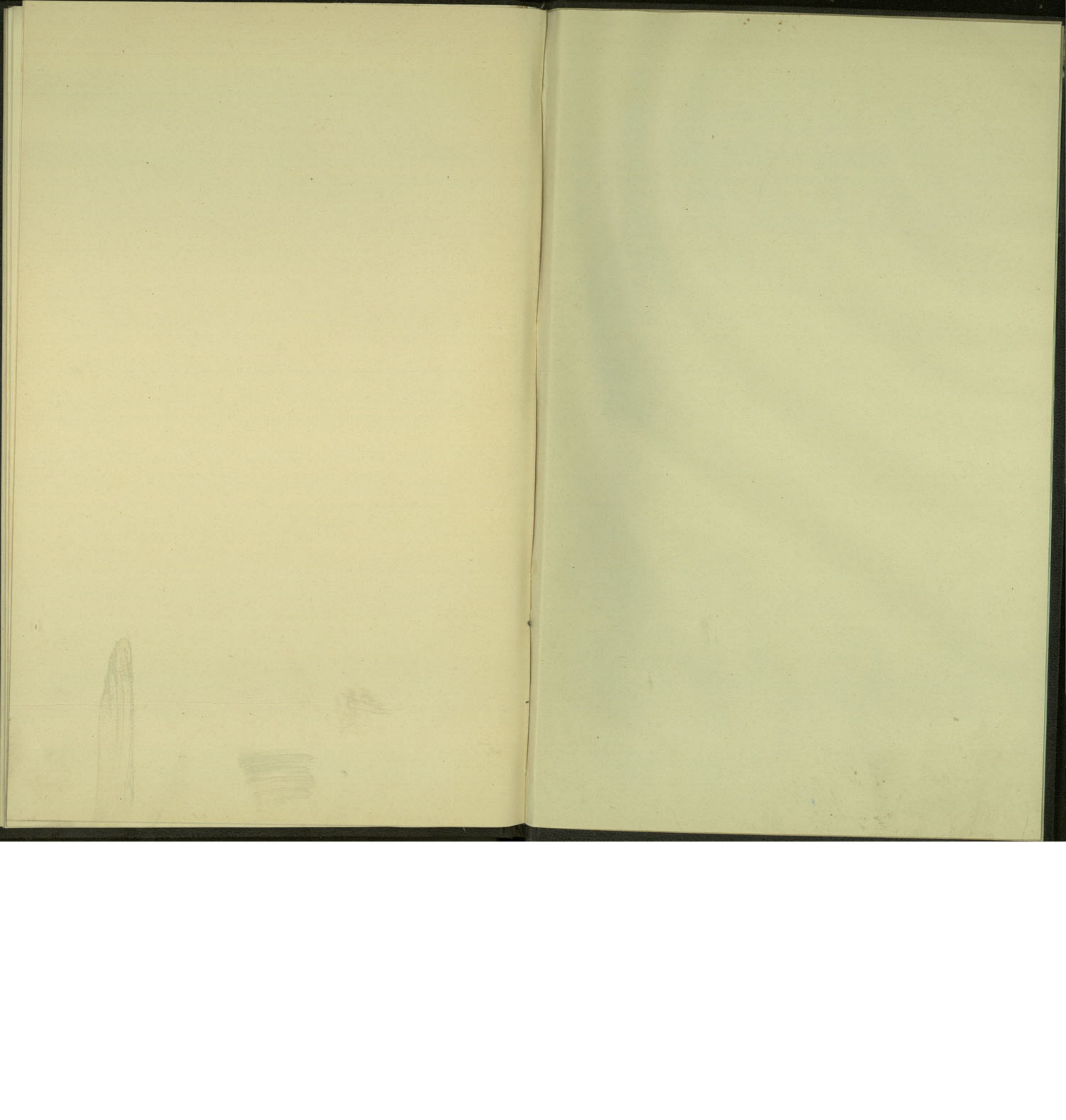


کتابخانهٔ مجلس شورای ملی
خطی «فهرست شده»
۷۷
کتابخانهٔ
مجلس شورای
اسلامی


کتابخانهٔ مجلس شورای ملی
اسم کتاب مشکوة الانوار
مؤلف حجة الاسلام غزالی
موضوع تألیف در توضیح معنی آیه «الله ملک السموات»
مؤسسهٔ ۱۳۰۲
شمارهٔ دفتر ۹۰۱۵
۷۷
بازرسی شد
۲۷ - ۶۳


کتابخانهٔ مجلس شورای ملی
اسم کتاب مشکوة الانوار
مؤلف حجة الاسلام غزالی
موضوع تألیف در توضیح معنی آیه «الله ملک السموات»
مؤسسهٔ ۱۳۰۲
شمارهٔ دفتر ۹۰۱۵
۷۷
بازرسی شد
۲۷ - ۶۳





فهرست مجلدات که در این کتاب است

مشکوة الانوار غزالی — جواهر القرآن غزالی — مقصد الاقصی غزالی — رساله در وجود از وفا

هدیة الحکما اندر احوال حکما — ملوکات سبع عقول — اثولوجیا ارسطو — رساله در وحدت و بابر عوالم

رساله توضیح صراط قونوی — رساله اجوبه خواجه نصیر طوسی



هو الله تعالى شأنه

كتاب مشكوة الأنوار امام غزالي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله فايض الأنوار ٥ وفاتح الأبصار ٥ وكاشف الأسرار ٥ ورافع الأستار ٥
والصلوة على محمد نور الأنوار ٥ وسيد الأبرار ٥ وحبيب الجبار ٥ وبشير الغفار ٥
ونذير القهار ٥ وقامع الكفار ٥ وفاضح الفجار ٥ وعلى آله وأصحابه الأخيار ٥
اما بعد فقد سألتني أيها الأخ الكريم قيضك الله لطلب السعادة الكبرى
ورشحك للعروج الى الذروة العليا ٥ وكحل بنور الحقيقة بصيرتك ٥ ونقى عما سوى الحق
سريرتك ٥ ان ابث اليك اسرار الأنوار الالهية ٥ مقرونة بما يشير اليه ظواهر الآيات
المتلوة ٥ والأخبار المروية ٥ مثل قوله تعالى ٥ الله نور السموات والأرض الآية
ومعنى تمثيله ذلك بالمشكوة والزجاجة والمصباح والزيت والشجرة مع قوله عليه الصلوة
والسلام ان الله تعالى سبعين حجابا من نور وظلمة وانه لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه
كل من ادركه بصره ولقد ارتقيت بسؤالك هذا مرتقى صعبا تنخفض دون اعاليه اعين الناظرين
وقرعت بابا مغلقا لا يفتح الا للعلماء الراسخين ٠ ثم ليس كل سر يكشف ويفشى ولا
كل حقيقة تعرض وتجلى ٠ بل صدور الأحرار قبور الأسرار ٠ ولقد قال بعض العارفين
افشاء سر الربوبية كفر ٠ بل قال سيد الأولين والآخرين صلوات الله وسلامه عليه ان
من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه الا العلماء بالله فاذا انطقوا به لم ينكره الا اهل الغرة بالله
ومهما كثر اهل الاغترار وجب حفظ الأستار على وجه الأسرار لكني اراك مشروح
الصدر بالنور منزه السر عن ظلمات الغرور ٠ فلا اشح عليك في هذا الفن بالاشارة
الى لوامع ولوائح ٠ والرمز الى حقائق ودقائق ٠ فليس الخوف في كف العلم عن اهله
باقل منه في بثه الى غير اهله شعر فمن منح الجهال علما اضاعه ٥

ومن منع المستوجبين فقد ظلم فاقنع باشارات مختصرة وتلويحات موجزة فان تحقيق
القول فيه يستدعي تمهيد اصول وشرح فصول ليس يتسع الآن لها وقتي ولا ينصرف
اليه همي وفكري ومفاتيح القلوب بيد الله يفتحها اذا شاء كما شاء بما شاء وانما
ينفتح في الوقت فصول ثلثة

الفصل الأول

في بيان ان النور الحق هو الله تعالى
وان اسم النور لغيره مجاز محض لا حقيقة له وبيانه بان تعرف معنى النور بالوضع الأول
عند العوام ثم بالوضع الثاني عند الخواص ثم بالوضع الثالث عند خواص الخواص ثم
تعرف درجات الأنوار المذكورة المنسوبة الى خواص الخواص وحقائقها لينكشف لك
عند ظهور درجاتها ان الله هو النور الأعلى الأقصى وعند انكشاف حقائقها انه النور
الحق الحقيقي وحده لا شريك له فيه اما الوضع الأول العامي فالنور يشير الى الظهور
والظهور امر اضافي اذ يظهر الشيء لا محالة لانسان ويبطن عن غيره فيكون ظاهرا بالاضافة
وباطنا بالاضافة واضافة ظهوره الى الأدراكات لا محالة واقوى الادراكات واجلاها
عند العوام الحواس ومنها حاسة البصر والأشياء بالاضافة الى الحس البصري ثلثة اقسام
منها ما لا يبصر بنفسه كالأجسام المظلمة ومنها ما يبصر بنفسه ولا يبصر به غيره
كالأجسام المضيئة كالكواكب وجمرة النار اذا لم تكن مشتعلة ومنها ما يبصر بنفسه
ويبصر به ايضا غيره كالشمس والقمر والسراج والنيران المشتعلة والنور اسم لهذا
القسم الثالث ثم تارة يطلق على ما يفيض من الأجسام اللطيفة المشرقة على ظواهر الأجسام
الكثيفة فيقال استنارت الأرض ووقع نور الشمس على الأرض ونور السراج على الحائط
والثوب وتارة يطلق على نفس هذه الأجسام المشرقة لأنها ايضا في نفسها مستنيرة
فالنور عبارة عما يبصر بنفسه ويبصر به غيره كالشمس هذا حده وحقيقته
وعلى الحالة ٠ بالوضع الأول دقيقة لما كان سر النور وروحه هو الظهور للادراك وكان
الادراك موقوفا على وجود النور وعلى وجود العين الباصرة ايضا اذ النور هو الظاهر المظهر
وليس شيء من الأنوار ظاهرا في حق العميان ولا مظهرا لهم فقد ساوى الروح الباصرة النور الظاهر

في كونه ركناً لا بد منه للادراك ثم يترجح عليه في ان الروح الباصرة هي المدركة وبها الادراك
واما النور فليس بمدرك ولا به الادراك بل عنده الادراك فانه مدرك ومدرك عنده ولا
مدرك فهو مفعول لا فاعل فكان لاسم النور بالنور الباصرة احق منه بالنور المبصر ثم اطلقوا
اسم النور على نور العين المبصرة فقالوا في الخفاش ان نور عينه ضعيف وفي الاعمش انه
ضعف نور بصره والاعمى انه فقد نور البصر وفي السواد انه يجمع نور البصر ويقويه وان الاجفان
انما خصتها الحكمة الالهية بلون السواد وجعل العين محفوفة بها ليجمع ضوء العين واما البياض
فيفرق ضوء العين ويضعف نوره حتى ان ادامة النظر الى البياض المشرق بل الى نور الشمس
يبهر نور العين ويمحقه كما يمحق الضعيف في جنب القوي فقد عرفت بهذا ان الروح الباصرة
سمي نوراً وانه لم يسمى نوراً وانه لم كان بهذا الاسم اولى وهذا الوضع الثاني
وهو وضع الخواص حقيقة اعلم ان نور بصر العين موسوم بانواع النقصان
فانه يبصر غيره ولا يبصر نفسه ولا يبصر ما بعد منه بعداً مفرطاً ولا ما قرب منه قرباً مفرطاً
ولا يبصر ما هو وراء حجاب ويبصر من الاشياء ظاهرها دون باطنها ويبصر من الموجودات
بعضها دون كلها ويبصر اشياء متناهية ولا يبصر ما لا نهاية له ويغلط كثيراً في ابصاره
فيرى الكبير صغيراً والبعيد قريباً والساكن متحركاً والمتحرك ساكناً وهذه سبعة
نقائص لا تفارق العين الظاهرة فان كان في الاعين عين منزهة عن هذه النقائص
كلها فليت شعري هل هو اولى باسم النور ام لا واعلم ان في قلب الانسان
عيناً هذه صفة كمالها وهي التي يعبر عنها تارة بالعقل وتارة بالروح وتارة بالنفس
الانساني ودع عنك العبارات فانها اذا كثرت اوهمت عند ضعيف البصيرة كثرة
المعاني فنعني به المعنى الذي يتميز به العاقل عن الطفل الرضيع وعن البهيمة وعن المجنون
ولنسمه عقلاً متابعة للجمهور في الاصطلاح فنقول العقل اولى بان يسمى
نوراً من العين الظاهرة لرفعة قدره عن النقائص السبع الاول
فهو ان العين لا تبصر نفسها والعقل يدرك نفسه ويدرك غيره ويدرك صفات نفسه

اذ

اذ يدرك نفسه عالماً وقادراً ويدرك علم نفسه ويدرك علمه بعلمه بنفسه الى غير نهاية وهذه خاصية
لا يتصور ان تدرك بآلة الاجسام ووراءه سر يطول شرحه الثاني ان العين لا تبصر ما
بعد منها ولا ما قرب منها قرباً مفرطاً والعقل يستوي عنده القريب والبعيد يعرج في تطريفه
الى اعلى السموات رقياً وينزل في لحظة الى تخوم الارضين هوياً بل اذا حققت الحقائق
انكشف انه منزه عن ان تحوم بجنبات قدسه معاني القرب والبعد الذي يفرض بين
الاجسام فانه انموذج من نور الله ولا يخلو الانموذج عن نوع محاكاة وان كان لا يرقى الى
ذروة المساواة وهذا ربما هزك للتفطن لسر قوله عليه الصلوة والسلام ان الله
تعالى خلق آدم على صورته فلست ارى الخوض فيه الآن الثالث ان العين لا تدرك
ما وراء الحجب والعقل يتصرف في العرش والكرسي وما وراء حجب السموات وفي الملأ الاعلى
والملكوت الاسمى كتصرفه في عالمه الخاص ومملكته القريبة اعني بدنه الخاص بل الحقائق كلها لا تحتجب
عن العقل وانما حجاب العقل حيث يحجب من نفسه لنفسه بسبب صفات هي مقارنة له
تضاهي حجاب العين من نفسه عند تغميض الاجفان وستعرف هذا في الفصل الثالث من الكتاب
الرابع ان العين تدرك من الاشياء ظاهرها وسطحها الاعلى دون باطنها بل
قوالبها وصورها دون حقائقها والعقل يتغلغل الى بواطن الاشياء واسرارها ويدرك
حقائقها وارواحها ويستنبط سببها وعلتها وغايتها وحكمتها وانها مم خلق
وكيف خلق ولم خلق ومن كم معنى جمع وركب وعلى اي مرتبة في الوجود نزل وما نسبته
الى خالقه وما نسبته الى سائر مخلوقاته الى مباحث اخر يطول شرحها نرى الايجاز فيها اولى
الخامس ان العين تبصر بعض الموجودات اذ تقصر عن جميع المعقولات وعن كثير من
المحسوسات اذ لا تدرك الاصوات والروائح والطعوم والحرارة والبرودة والقوى المدركة اعني
قوة السمع والبصر والشم والذوق بل الصفات النفسانية الباطنة كالفرح والسرور
والغم والحزن والالم واللذة والعشق والشهوة والقدرة والارادة والعلم الى غير ذلك
من موجودات لا تحصى ولا تعد فهو ضيق المجال مختصر المجرى لا تسعه مجاوزة الالوان

والأشكال وهما أخس الموجودات فإن الأجسام في أصلها أخس أقسام الموجودات والألوان
والأشكال من أخس أعراضها والموجودات كلها مجال العقل إذ يدرك هذه الموجودات
مجال العقل إذ يدرك هذه الموجودات التي عددناها وما لم نعدها وهو الأكثر فيتصرف
في جميعها ويحكم عليها حكماً يقيناً صادقاً فالأسرار الباطنة عنده ظاهرة والمعاني
الخفية عنده جلية فمن أين للعين الظاهرة مساواته ومجاراته في استحقاق اسم
النور كلا إنه نور بالإضافة إلى غيره لكنه ظلمة بالإضافة إليه بل هو جاسوس من جواسيسه
وكله بأخس خزائنه وهو خزانة الألوان والأشكال ليرفع إلى حضرته أخبارها فيقضي فيها
بما يقتضيه رأيه الثاقب وحكمه النافذ والحواس الخمس جواسيسه وله في الباطن جواسيس
سواها من خيال ووهم وفكر وذكر وحفظ ووراءهم خدم وجنود مسخرة له في عالمه الخاص
يستسخرهم ويتصرف فيهم استسخار الملك عبيده بل أشد وشرح ذلك يطول وقد
ذكرنا في كتاب عجائب القلب من كتب الإحياء **السادس** أن العين لا تبصر ما لا السادس
نهاية له فإنها تبصر صفات الأجسام لا تتصور إلا متناهية والعقل يدرك المعقولات
والمعلومات لا يتصور أن تكون متناهية نعم إذا لاحظ العلوم المنفصلة فلا يكون الحاضر
الحاصل عنده إلا متناهياً لكن في قوته إدراك ما لا نهاية له وشرح ذلك يطول فإن
أردت له مثالاً فخذه من الجليات فإنه يدرك الأعداد ولا نهاية لها بل يدرك تضعيفات
الاثنين والخمسة وساير الأعداد ولا يتصور لها نهاية ويدرك أنواعاً من النسب بين
الأعداد ولا يتصور التناهي عليها بل يدرك علمه بالشيء وعلمه بعلمه فقوته في هذا الواحد
لا تقف عند نهاية **السابع** أن العين تبصر الكبير صغيراً فترى الشمس في مقدار
مجن والكواكب في صورة دنانير منثورة على بساط أزرق والعقل يدرك أن الكوكب
والشمس أكبر من الأرض أضعافاً مضاعفة ويرى الكوكب ساكنة بل يرى الظل بين
يديه ساكناً ويرى الصبي ساكناً في مقداره والعقل يدرك أن الصبي متحرك في النشو
والتزايد على الدوام والظل متحرك دائماً والكوكب تتحرك في كل لحظة أميالاً كثيرة

كما قال سيد البشر صلوات الله وسلامه عليه لجبريل أزالت الشمس فقال لا نعم فقال
كيف قال منذ قلت لا إلى أن قلت نعم قد تحركت مسيرة خمسمائة سنة وأنواع غلط
البصر كثيرة والعقل منزه عنها **فإن قلت** ترى العقلاء يغلطون في نظرهم
فاعلم أن فيهم خيالات وأوهاماً واعتقادات يظنون أحكامها أحكام العقل
فالغلط منسوب إليها وقد شرحنا مجامعها في كتاب معيار العلم وكتاب محك النظر
فأما العقل إذا تجرد عن غشاوة الوهم والخيال لم يتصور أن يغلط بل رأى الأشياء على
ما هي عليها وفي تجريده عسر عظيم وإنما يكمل تجرده عن هذه النوازع بعد الموت
وعند ذلك ينكشف الغطاء وتتجلى الأسرار ويصادف كل أحد ما قدم من خير أو شر
محضراً ويشاهد كتاباً لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها وعنده يقال
يقال له فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد وإنما الغطاء غطاء الخيال
والوهم وغيرهما وعنده يقول المغرور بأوهامه واعتقاداته الفاسدة وخيالاته الباطلة
ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحاً الآية فقد عرفت بهذا أن العين أولى
باسم النور من النور المعروف ثم عرفت أن العقل أولى باسم النور من العين
بل بينهما من التفاوت ما يصح معه أن يقال إنه أولى بل الحق أنه المستحق للاسم دونه
دقيقة اعلم أن العقول وإن كانت مبصرة فليست المبصرات كلها عنده
على وتيرة واحدة بل بعضها عنده كأنه حاضر كالعلوم الضرورية مثل علمه بأن الشيء
الواحد لا يكون قديماً حادثاً ولا يكون موجوداً معدوماً والقول الواحد لا يكون
صدقاً وكذباً وأن الحكم إذا ثبت للشيء جوازه ثبت لمثله وأن الأخص إذا كان موجوداً
كان الأعم واجب الوجود فإذا وجد السواد فقد وجد اللون وإذا وجد الإنسان فقد
وجد الحيوان وأما عكسه فلا يلزم في العقل إذ لا يلزم من وجود اللون وجود السواد
ولا من وجود الحيوان وجود الإنسان إلى غير ذلك من القضايا الضرورية في الواجبات
والجائزات والمستحيلات ومنها ما لا يقارن العقل في كل حال إذا عرض عليه بل

بل يحتاج الى ان يهز اعطافه ويستورى زناده وينبه عليه بالتنبيه كالنظريات والايناس
بكلام الحكمة فعند اشراق نور الحكمة يصير العقل مبصرا بالفعل بعد ان كانت مبصرا بالقوة
واعظم الحكم كلام الله تعالى ومن جملته كلام القرآن خاصة فيكون منزلة آيات القرآن
عند عين العقل منزلة نور الشمس عند العين الظاهرة اذ به يتم الابصار فبالحري
ان يسمى القرآن نورا كما يسمى نور الشمس نورا فمثال القرآن نور الشمس ومثال
العقل نور العين فكان العين انما تدرك الاشياء الظاهرة بالشمس ولا بد منه في الادراك
فكذلك العقل انما يدرك المعقولات والحقائق الباطنة بالقرآن لما فيه من الحكمة ولهذا
يفهم تفسير قوله تعالى فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي انزلنا وقوله قد جاءكم برهان من
ربكم وانزلنا اليكم نورا مبينا تكملة هذه الدقيقة قد فهمت من هذا ان العين
عينان ظاهرة وباطنة الظاهرة من عالم الحس والشهادة والباطنة من عالم آخر وهو
عالم الملكوت ولكل عين من العينين شمس ونور عنده تصير كاملة الابصار احدهما
ظاهرة والاخرى باطنة والظاهرة من عالم الشهادة وهي الشمس المحسوس والباطنة
من عالم الملكوت وهو القرآن وكتب الله المنزلة ومهما انكشف لك هذه الاسرار
انكشافا تاما فقد انفتح لك اول من ابواب الملكوت وفي هذا العالم عجائب يستحقر
بالاضافة اليها عالم الشهادة وان من لم يسافر الى هذا العالم وقعد به القصور
في حضيض عالم الشهادة فهو بهيمة بعد محروم عن خاصية الانسان بل اضل من
البهيمة اذ لم تسعد البهيمة باجنحة الطيران الى هذا العالم ولذلك قال الله تعالى
اولئك كالانعام بل هم اضل واعلم ان عالم الشهادة بالاضافة الى عالم
الملكوت كالقشر بالاضافة الى اللب وكالصورة والقالب بالاضافة الى الروح وكالظلمة
بالاضافة الى النور وكالسفل بالاضافة الى العلو ولذلك يسمى عالم الملكوت العالم
العلوي والعالم الروحاني والعالم النوراني وفي مقابلته السفلي والجسماني و
الظلماني ولا تظنن انا نعني بالعالم العلوي السموات فانها علو وفوق في حق عالم

الشهادة

تكملة

الشهادة والحس وتشارك في ادراكها البهائم واما العبد فلا يفتح له باب الملكوت ولا يصير
ملكوتيا الا ويبدل في حقه الارض غير الارض والسموات فيصير كل داخل تحت الحس
والخيال ارضه من جملة السموات وكل ما ارتفع من الحس فسماؤه وهذا هو المعراج الاول
لكل سالك ابتداء بسفره الى قرب الحضرة الربوبية فالانسان مردود الى اسفل السافلين
ومنه يرقى الى العالم الاعلى واما الملائكة فانهم من جملة عالم الملكوت عاكفون
في حظيرة القدس ومنها يشرفون الى العالم الاسفل ولذلك قال صلى الله عليه ان الله
خلق الخلق في ظلمة ثم افاض عليهم من نوره وقال ان لله ملائكة هم اعلم باعمال
الناس منهم والانبياء اذا بلغ معراجهم المبلغ الاقصى واشرفوا منه الى السفل
ونظروا من فوق الى تحت اطلعوا على قلوب العباد واشرفوا منه على جملة من علوم
الغيب اذ من كان في عالم الملكوت كان عند الله وعنده مفاتيح الغيب اي من عنده
تنزل اسباب الموجودات في عالم الشهادة اذ عالم الشهادة اثر من آثار ذلك العالم يجري
منه مجرى الظل بالاضافة الى الشخص ومجرى الثمرة بالاضافة الى المثمر والمسبب بالاضافة
الى السبب ومفاتيح معرفة المسببات لا يوجد الا من الاسباب ولذلك كان عالم
الشهادة مثالا لعالم الملكوت كما سيأتي في بيان المشكوة والمصباح والشجرة لان
المسبب لا يخلو من موازاة السبب ومحاكاته نوعا من المحاكات على قرب او بعد وهذا
لان له غور عميق ومن اطلع على كنه حقيقته انكشف له حقائق امثلة القرآن على
يسر دقيقة يرجع الى حقيقة النور فنقول ان كان ما يبصر نفسه وغيره اولى
باسم النور فان كان من جملته ما يبصر به غيره ايضا مع انه يبصر نفسه وغيره فهو اولى
باسم النور من الذي لا يؤثر في غيره اصلا بل بالحري ان يسمى سراجا منيرا لفيضان
انواره على غيره وهذه الخاصية يوجد للروح القدسي النبوي اذ تفيض بواسطته
انوار على الخلائق فبهذا يفهم معنى تسمية الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم سراجا منيرا
والانبياء كلهم سرج وكذلك العلماء ولكن التفاوت بينهم لا تحصى دقيقة

اذا كان اللائق بالذي يستفاد منه نور الابصار ان يسمى سراجا منيرا فالذي يقتبس منه
السراج في نفسه جدير بان يكنى عنه بالنار وهذه السرج الارضية انما تقتبس في اصلها
من انوار علوية والروح القدسي النبوي يكاد زيته يضيء ولو لم تمسسه نار ولكن انما يصير نورا
على نور اذا مسته النار فبالحري ان يكون مقتبس الارواح هي الروح الالهية العلوية التي
وصفها علي وابن عباس رضي الله عنهما مثلا لا في قوله تعالى يوم يقوم الروح والملائكة
صفا ان لله ملكا له سبعون الف وجه في كل وجه سبعون الف لسان يسبح الله
بجميعها وهو الذي قوبل بالملائكة كلهم فقيل يوم القيمة يوم يقوم الروح والملائكة صفا
فهي اذا اعتبرت من حيث تقتبس منها السرج الارضية لم يكن لها مثال الا النار وذلك
لا تونس الا من جانب الطور **دقيقة** الانوار السماوية التي منها تقتبس الانوار الارضية
ان كانت لها ترتيب بحيث يقتبس بعضها من بعض فالاقرب من المنبع الاول اولى باسم النور
لانه اعلى رتبة ومثال ترتيبه في عالم الشهادة لا تدركه الا بان تفرض مثلا الشعاع
من ضوء القمر داخلا في كوة بيت واقعا على مرآة منصوبة على حائط ومنعكسا منها
الى حائط آخر في مقابلته ثم منعطفا منه الى الارض بحيث تستنير الارض فانت تعلم
ان ما في الارض من النور تابع لما في القمر وما في القمر تابع لما في الشمس اذ منها اشرق
النور على القمر وهذه الانوار الاربعة مرتبة بعضها اعلى واكمل من بعض ولكل واحد مقام
معلوم ودرجة خاصة لا يتعداها (فاعلم) انه قد انكشف لارباب البصائر ان الانوار
الملكوتية انما وجدت على ترتيب كذلك وان المقرب هو الاقرب الى النور الاقصى فلا
يبعد ان يكون رتبة اسرافيل فوق رتبة جبرئيل وان فيهم الاقرب لقربه درجة من حضرة
الربوبية التي هي منبع الانوار كلها وان فيهم الادنى وبينهما درجات تستعصي
على الاحصاء وانما المعلوم كثرتهم وترتيبهم في مقاماتهم وصفوفهم فانهم كما وصفوا به
انفسهم اذ قالوا وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون **دقيقة**
اذا عرفت ان الانوار لها ترتيب فاعلم انه لا يتسلسل الى غير نهاية بل يرتقي الى منبع اول هو

(النور)

النور لذاته وبذاته ليس يأتيه نور من غيره ومنه تشرق الانوار كلها على ترتيبها فانظر الان
ان اسم النور احق واولى بالمستنير المستعير نوره من غيره او بالنير في ذاته المنير لكل ما سواه
فما عندك انه يخفى عليك الحق فيه وبه يتحقق ان اسم النور احق بالنور الاقصى الاعلى الذي
لا نور فوقه ومنه ينزل النور الى غيره **حقيقة** بل اقول ولا ابالي ان اسم النور
على غير النور الاول مجاز محض اذ كل ما سواه اذا اعتبر ذاته فهو في ذاته من حيث ذاته لا نور له
بل نورانيته مستعارة من غيره ولا قوام لنورانيته المستعارة بنفسها بل بغيرها ونسبة
المستعار الى المستعير مجاز محض افترى ان من استعار ثيابا وفرسا ومركبا وسرجا
وركبه في الوقت الذي اركبه المعير وعلى الحد الذي رسمه له اغنى بالحقيقة او بالمجاز وان
المعير هو الغني او المستعير كلا بل المستعير فقير في نفسه كما كان وانما الغني هو المعير الذي
منه الاعارة والاعطاء واليه الاسترداد والانتزاع فاذا النور الحق هو الذي بيده الخلق والامر
ومنه الانارة اولا والادامة ثانيا فلا شركة لاحد معه في حقيقة هذا الاسم ولا في استحقاقه
الا من حيث تسميته به وتفضل عليه بتسميته تفضل المالك على عبده اذا اعطاه
مالا ثم سماه مالكا واذا انكشف للعبد الحقيقة علم انه وماله لمالكه على التفرد لا
شريك له اصلا والبتة **حقيقة** مهما عرفت ان النور يرجع الى الظهور والاظهار
ومراتبه (فاعلم) انه لا ظلمة اشد من كتم العدم لان الشيء سمي مظلما لانه ليس
للابصار اليه وصول اذ ليس يصير موجودا للبصر مع انه موجود في نفسه فالذي
ليس موجودا لا لغيره ولا لنفسه كيف لا يستحق ان يكون هو الغاية في الظلمة وفي
مقابلته الوجود فهو النور فان الشيء ما لم يظهر لذاته لا يظهر لغيره والوجود ايضا
ينقسم الى ما للشيء في ذاته والى ما له من غيره وما له الوجود من غيره فوجوده مستعار
لا قوام له بنفسه بل اذا اعتبر ذاته من حيث ذاته فهو عدم محض وانما هو موجود من
حيث نسبته الى غيره وذلك ليس بوجود حقيقي كما عرفت في مثال استعارة الثوب
والغنى فالموجود الحق هو الله تعالى كما ان النور الحق هو الله تعالى وتقدس

من هم هنا ترقى العارفون من حضيض المجاز الى يفاع الحقيقة واستكملوا معراجهم فرأوا
بالمشاهدة العيانية ان ليس فى الوجود الا الله وان كل شىء هالك الا وجهه لا انه
يصير هالكا فى وقت من الاوقات بل هو هالك ازلا وابدا لا يتصور الا كذلك فان
كل شىء سواه اذا اعتبر ذاته من حيث ذاته فهو عدم محض واذا اعتبر من الوجه الذى يسرى
اليه الوجود من الاول الحق راى موجودا لا فى ذاته لكن من الوجه الذى يلى موجده فيكون
الموجود وجه الله تعالى فقط فلكل شىء وجهان وجه الى نفسه ووجه الى ربه فهو باعتبار
وجه نفسه عدم وباعتبار وجه الله تعالى موجود فاذا لا موجود الا الله ووجهه عز وتقدس
فاذا كل شىء هالك الا وجهه ازلا وابدا ولم يفتقر هؤلاء الى قيام القيمة ليسمعوا نداء
البارى تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار بل هذا النداء لا يفارق سمعهم
ابدا ولم يفهموا من معنى قوله الله اكبر انه اكبر من غيره حاش لله اذ ليس فى الوجود معه
غيره حتى يكون اكبر منه بل ليس لغيره رتبة المعية بل رتبة التبعية بل ليس لغيره الا الوجه
الذى يليه فالموجود وجهه تعالى فقط ومحال ان يقال انه اكبر من وجهه بل معناه انه اكبر
من ان يقال انه اكبر بمعنى الاضافة والمقايسة واكبر من ان يدرك غيره كنه كبريائه
نبيا كان او ملكا بل لا يعرف الله كنه معرفته الا الله بل كل معروف داخل فى سلطنة
العارف واستيلائه دخولا ما وذلك ينافى الجلال والكبرياء وهذا له تحقيق
ذكرناه فى كتاب المقصد الاقصى فى بيان معانى اسماء الله الحسنى اشارة
العارفون بعد العروج الى سماء الحقيقة اتفقوا على انهم لم يروا فى الوجود الا الواحد
الحق لكن منهم من له هذه الحال عرفانا علميا ومنهم من صار له ذلك حالا
ذوقيا وانتفت عنهم الكثرة بالكلية واستغرقوا بالفردانية المحضة واستوفيت فيها عقولهم
فصاروا كالمبهوتين فيه ولم يبق فيهم متسع لا لذكر غير الله ولا لذكر انفسهم ايضا
فلم يكن عندهم الا الله فسكروا سكرا ارفع عنهم سلطان عقولهم فقال احدهم انا الحق
وقال الاخر سبحانى ما اعظم شانى وقال الاخر ما فى الجبة سوى الله وكلام العشاق

فى حال السكر يطوى ولا يحكى فلما خف عنهم سكرهم وردوا الى سلطان العقل الذى هو
ميزان الله فى ارضه عرفوا ان ذلك لم يكن حقيقة الاتحاد بل شبه الاتحاد مثل قول العاشق
فى حال فرط عشقه ٥ انا من اهوى ومن اهوى انا ٥ ولا يبعد ان يفاجئ الانسان
مرآة فينظر اليها فيها ولم ير المرآة قط فيظن ان الصورة التى رآها هى صورة المرآة متحدة بها
ويرى الخمر فى الزجاج فيظن ان الخمر لون الزجاج واذا صار ذلك عنده مالوفا ورسخ
فيه قدمه استغفر وقال ٥ رق الزجاج ورقت الخمر ٥ فتشابها وتشاكل الامر ٥
وكانها خمر ولا قدح ٥ وكانها قدح ولا خمر ٥ وفرق بين ان يقول الخمر قدح وبين
ان يقول كانه القدح وهذه الحالة اذا غلبت سميت بالاضافة الى صاحب الحالة
فنا بل فنا الفناء لانه فنى عن نفسه وفنى عن فنائه فانه ليس يشعر بنفسه فى تلك
الحال ولا بعدم شعوره بنفسه ولو شعر بعدم شعوره بنفسه لكان قد شعر بنفسه وتسمى
هذه الحالة بالاضافة الى المستغرق فيها بلسان المجاز اتحادا وبلسان الحقيقة توحيدا
ووراء هذه الحقائق ايضا اسرار يطول الخوض فيها خاتمة
لعلك تشتهى ان تعرف وجه اضافة نوره الى السموات والارض بل وجه كونه فى ذاته
نور السموات والارض فلا ينبغى ان يخفى عليك بعد ان عرفت انه النور ولا نور سواه
وانه كل الانوار وانه النور الكلى لان النور عبارة عما ينكشف به الاشياء واعلى منه ما
ينكشف به وله واعلى منه ما ينكشف به وله ومنه وان الحقيقى منه ما ينكشف به
وله ومنه وليس فوقه نور منه اقتباسه واستمداده بل ذلك له فى ذاته من ذاته لذاته لا من غيره
ثم عرفت ان هذا لن يتصف به الا النور الاول ثم عرفت ان السموات والارض
مشحونة نورا من طبقتى النور اعنى المنسوبة الى البصر والبصيرة اى الى الحس والعقل اما
البصرى فما نشاهده فى السموات من الكواكب والشمس والقمر وما نشاهده فى
الارض من الاشعة المنبسطة على كل ما على الارض حتى ظهرت به الالوان المختلفة
خصوصا فى الربيع وعلى كل حال فى الحيوانات والمعادن واصناف الموجودات

ولولاها لم يكن للألوان ظهور بل وجود ثم سائر ما يظهر للحس من الأشكال والمقادير
يدرك تبعاً للألوان ولا يتصور ادراكها الا بواسطتها وأما الأنوار العقلية المعنوية
فالعالم الأعلى مشحون بها وهي جواهر الملائكة والعالم الأسفل مشحون بها وهي
الحياة الحيوانية ثم الانسانية وبالنور الانساني السفلي ظهر نظام عالم السفل
كما بالنور الملكي ظهر نظام عالم العلو وهو المعني بقوله عز وجل انشأكم من الأرض
واستعمركم فيها وقال تعالى ليستخلفنهم في الأرض وقال تعالى ويجعلكم
خلفاء الأرض وقال تعالى اني جاعل في الأرض خليفة فاذا عرفت هذا
عرفت أن العالم بأسره مشحون بالأنوار الظاهرة البصرية والباطنة العقلية ثم
عرفت أن السفلية العقلية فائضة بعضها من بعض فيضان النور من السراج و
ان السراج هو الروح النبوي القدسي وان الأرواح النبوية القدسية مقتبسة من البعض
من الأرواح العلوية اقتباس السراج من النار وان العلويات بعضها مقتبسة من
البعض وان ترتيبها ترتيب مقامات ثم ترقى جملتها الى نور الأنوار ومعدنها
ومنبعها الأول وان ذلك هو الله تعالى وحده لا شريك له وان سائر الأنوار
مستعارة وأنما الحقيقي نوره فقط وان الكل نوره بل هو الكل بل لا هوية لغيره
الا بالمجاز فاذن لا نور الا نوره وسائر الأنوار أنوار من الوجه الذي يليه لا من ذاته فوجه
كل ذي وجه اليه ومولّيه شطره فأينما تولوا فثم وجه الله فاذاً لا اله الا هو فان الاله
عبارة عما الوجوه مولية نحوه بالعبادة والتأله أعني وجوه القلوب فانها الأنوار بل كما لا اله
الا هو فلا هو الا هو لأن هو عبارة عما اليه اشارة كيف ما كان ولا اشارة الا اليه
بل كل ما أشرت اليه فهو بالحقيقة اشارة اليه وان كنت لا تعرفه أنت لغفلتك عن حقيقة
الحقائق التي ذكرناها ولا اشارة الى نور الشمس بل الى الشمس وكل ما في الوجود
فنسبته اليه في ظاهر المثال كنسبة النور الى الشمس فاذاً لا اله الا الله توحيد العوام
ولا هو الا هو توحيد الخواص لأن هذا أتم وأخص وأشمل وأحق وأدق وأدخل بصاحبه

في الفردانية المحضة والوحدانية الصرفة ومنتهى معراج الخلائق مملكة الفردانية فليس وراء
ذلك مرقى اذ المرقى لا يتصور الا بكثرة فانه نوع اضافة يستدعي ما منه الارتقاء وما اليه
الارتقاء واذا ارتفعت الكثرة حقت الوحدة وبطلت الاضافات وطاحت
الاشارات ولم يبق علو وسفل ونازل ومرتفع فاستحال الترقي واستحال العروج
فليس وراء الأعلى علو ولا مع الوحدة كثرة ولا مع انتفاء الكثرة عروج فان كان
من تغير حال فبالنزول الى السماء الدنيا أعني بالاشراف من علو الى سفل لأن
الأعلى له أسفل وليس له أعلى فهذه هي غاية الغايات ومنتهى الطلبات يعلمه
من يعلمه وينكره من يجهله وهو من العلم الذي هو كهيئة المكنون الذي لا يعلمه
الا العلماء بالله فاذا نطقوا به لا ينكره الا أهل الغرة بالله ولا يبعد أن من قال من
العلماء ان النزول الى السماء الدنيا هو نزول ملك فقد توهم بعض العلماء ما
أبعد منه اذ قال هذا المستغرق بالفردانية أيضاً له نزول الى السماء الدنيا وان
ذلك هو نزوله الى استعمال الحواس وتحريك الأعضاء واليه الاشارة بقوله
صرت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به فاذا كان
هو سمعه وبصره ولسانه فهو السامع والباصر والناطق اذاً لا غيره واليه الاشارة
بقوله مرضت فلم تعدني الحديث فحركات هذا الموحد من السماء الدنيا فا
حساساته كالسمع والبصر من سماء فوقه وعقله فوق ذلك وهو يترقى من
سماء العقل الى منتهى معراج الخلائق ومملكة الفردانية تمام سبع طبقات ثم
بعد ثم يستوي على عرش الوحدانية ومنه يدبر الأمر بطبقات سمواته فربما نظر
الناظر اليه فأطلق القول بأن الله خلق آدم على صورة الرحمن الى أن يمعن النظر فيعلم
ان ذلك له تأويل كقول القائل أنا الحق وسبحاني كقوله لموسى عليه السلام
مرضت فلم تعدني وكنت سمعه وبصره ولسانه وأرى الآن قبض عنان البيان
فان الحق لا يطيق من هذا الكلام أكثر من هذا القدر مساعدة لعلك لا تسمو

الى هذا الكلام بهمتك بل تقصرون دونه فهمك فخذ اليك كلاما اقرب الى فهمك
واوفق لضعفك واعلم ان معنى كونه نور السموات والارض تعرفه بالنسبة الى
النور الظاهر البصري واذا رأيت انوار الربيع وخضرته مثلا في ضياء النهار فلست تشك
في انك ترى الالوان وربما ظننت انك لست ترى مع الالوان غيرها فانك تقول
لست ارى مع الخضرة غير الخضرة ولقد اصر على هذا اقوام فزعموا ان النور لا معنى له وانه
ليس مع الالوان غير الالوان وانكروا وجود النور مع انه اظهر الاشياء وكيف لا وبه
يظهر الاشياء وهو الذي يبصر في نفسه ويبصر به غيره كما سبق لكن عند غروب الشمس
وغيبة السراج ووقوع الظل فادركوا تفرقة ضرورية بين محل الظل وبين مواقع الضياء
فاعترفوا بان النور معنى وراء الالوان يدرك مع الالوان حتى كانه لشدة اتحاده لا
يدرك ولشدة ظهوره يختفي وقد يكون الظهور سبب الخفاء والشيء اذا جاوز حده
انعكس على ضده فاذا عرفت هذا فاعلم ان ارباب البصائر ما راوا شيئا الا راوا الله
معه وربما زاد على هذا بعضهم فقال ما رأيت شيئا الا رأيت الله قبله لان منهم من
يرى الاشياء به ومنهم من يرى الاشياء فيرى الله بالاشياء والى الاول الاشارة بقوله تعالى
اولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد والى الثاني الاشارة بقوله سنريهم آياتنا في الآفاق
وفي انفسهم فالاول صاحب مشاهدة والثاني صاحب استدلال باياته والاول
درجة الصديقين والثاني درجة العلماء الراسخين وليس بعدهما الا درجة الغافلين
المحجوبين واذا قد عرفت هذا فاعلم انه كما ظهر كل شيء للبصر بالنور الظاهر فقد ظهر
كل شيء للبصيرة الباطنة بالله فهو مع كل شيء لا يفارقه ثم به يظهر كل شيء كما ان النور
مع كل شيء وبه يظهر ولكن بقي ههنا تفاوت وهو ان النور الظاهر يتصور ان يغيب
لغروب الشمس ويحجب حتى يظهر الظل واما النور الالهي الذي به يظهر كل شيء لا
يتصور غيبته بل يستحيل تغيره فبقي مع الاشياء دائما فانقطع من طريق الاستدلال
بالتفرقة ولو تصور غيبته لانهدمت السموات والارض ولادرك به من التفرقة

ما يضطر معه الى المعرفة بما به ظهرت الاشياء ولكن لما تساوت الاشياء كلها على
نمط واحد في الشهادة على وحدانية خالقها اذ كل شيء يسبح بحمده لا بعض الاشياء
وفي جميع الاوقات لا في بعض الاوقات ارتفع التفريق وخفي الطريق اذ الطريق
الظاهر معرفة الاشياء بالاضداد فما لا ضد له ولا تغير له تتشابه الاحوال في الشهادة
له فلا يبعد ان يخفى ويكون خفاؤه لشدة جلائه والغفلة عنه لاشراق ضيائه فسبحان
من خفي عن الخلق لشدة ظهوره واحتجب عنهم لاشراق نوره وربما لم يفهم
ايضا كنه هذا الكلام بعض القاصرين ويفهم من قولنا ان الله مع كل شيء كالنور مع
الاشياء انه في كل مكان تعالى وتقدس عن النسبة الى المكان بل لعل الابعد
عن اثارة هذا الخيال ان نقول انه قبل كل شيء وانه فوق كل شيء وانه مظهر كل شيء والمظهر
لا يفارق المظهر في معرفة صاحب البصيرة فهو الذي نعني بقولنا انه مع كل شيء
ثم لا يخفى عليك ايضا ان المظهر قبل المظهر وفوقه مع انه معه بوجه لكنه معه وقبله
بوجه فلا تظنن انه متناقض واعتبر بالمحسوسات التي هي درجتك في العرفان
وانظر كيف يكون حركة اليد مع حركة ظل اليد وقبلها ايضا ومن لم يتسع صدره
لمعرفة هذا فليهجر هذا النمط من العلم فلكل علم رجال وكل ميسر لما خلق له

الفصل الثاني في بيان مثال المشكوة والمصباح والزجاجة والشجرة
والزيت والنار ومعرفة هذا يستدعي تقديم قطبين يتسع المجال فيهما الى غير حد
محدود ولكن اشير اليهما بالرمز والاختصار احدهما في بيان سر التمثيل ومنهاجه ووجه
ضبط ارواح المعاني بقوالب الامثلة ووجه كيفية المناسبة بينهما وكيفية الموازنة بين
عالم الشهادة التي منها تتخذ طينة الامثال وعالم الملكوت التي منه تستنزل ارواح
المعاني والثاني في طبقات ارواح الطينة البشرية ومراتب انوارها
فان هذا المثال مسوق لبيان ذلك اذ قرأ ابن مسعود رضي الله عنه مثل
نوره في قلب المؤمن كمشكوة وقرأ ابي بن كعب رضي الله عنه مثل نوره في قلب

في قلب من آمن كمشكاة **القطب الاول** في سر التمثيل ومنهاجه فاعلم ان العالم
عالمان روحاني وجسماني وان شئت قلت حسي وعقلي وان شئت قلت علوي
وسفلي والكل متقارب وانما يختلف باختلاف العبارات فاذا اعتبرتهما في
انفسهما قلت جسماني وروحاني وان اعتبرتهما باضافة احدهما الى الآخر قلت علوي و سفلي
وربما سميت احدهما عالم الملك والشهادة والآخر عالم الغيب والملكوت ومن نظر الى
الحقائق من الالفاظ ربما تحير عند كثرة الالفاظ وتخيل كثرة المعاني والذي ينكشف
له الحقائق يجعل المعاني اصلا والالفاظ تابعا وامر الضعيف بالعكس اذ يطلب الحقائق
من الالفاظ والى الفريقين الاشارة بقوله تعالى افمن يمشي مكبا على وجهه اهدى
امن يمشي سويا على صراط مستقيم واذ قد عرفت معنى العالمين فاعلم ان عالم الملكوت عالم
غيب اذ هو غائب عن الاكثرين والعالم الحسي عالم الشهادة اذ يشهده الكافة والعالم
الحسي مرقاة الى العقلي ولو لم يكن بينهما اتصال ومناسبة لانسد طريق الترقي اليه
ولو تعذر لتعذر السفر الى الحضرة الربوبية والقرب من الله فلم يقرب من الله احد ما لم
يطا بحبوحة حظيرة القدس والعالم المرتفع من ادراك الحس والخيال هو الذي نعنيه
بعالم القدس وربما سمينا الروح البشري الذي هو مجرى لوائح القدس الوادي
المقدس ثم هذه الحظيرة فيها حظائر بعضها اشد امعانا في معاني القدس و
لكن لفظ الحظيرة يحيط بجميع طبقاتها فلا تظنن ان هذه الالفاظ طامات غير معقولة
بل هي معقولة عند ارباب البصائر واشتغالي الآن بشرح كل لفظ مع ذكره يصدني
عن المقصود فعليك بالتشمير لفهم الالفاظ فارجع الى الغرض (واقول) لما كان
عالم الشهادة مرقاة الى عالم الملكوت وكان سلوك الصراط المستقيم عبارة عن هذا
الترقي وقد يعبر عنه بالدين وبمنازل الهدى فلو لم يكن مناسبة بينهما واتصال لما تصور
الترقي من احدهما الى الآخر فجعلت الرحمة الالهية عالم الشهادة على موازنة عالم الملكوت
فما من شيء من هذا العالم الا وهو مثال لشيء من ذلك العالم وربما كان الشيء الواحد

(من الملكوت)

من الملكوت امثلة كثيرة من عالم الشهادة وانما يكون مثالا اذا ماثله نوعا من
المماثلة وطابقه نوعا من المطابقة واحصاء تلك الامثلة يستدعي استقصاء
جميع موجودات العالمين باسرها ولن تفي به القوة البشرية وان اتسع لفهمه القوة
البشرية فلا تفي بشرحه الاعمار القصيرة فغايتي ان اعرفك منها انموذجا ٥
لتستدل باليسير منها على الكثير وينفتح لك الاستبصار بهذا النمط من الاسرار
(فاقول) ان كان من عالم الملكوت جواهر نورانية شريفة عالية يعبر عنها بالملائكة
منها تفيض الانوار على الارواح البشرية ولاجلها قد تسمى اربابا ويكون الله تعالى رب
الارباب لذلك ويكون لها مراتب في نورانيتها متفاوتة فبالحري ان يكون مثالها
من عالم الشهادة الشمس والقمر والكواكب والسالك للطريق اذ لا ينتهي الى ما
درجته درجة الكواكب فيتضح له اشراق نوره وينكشف له ان العالم الاسفل باسره تحت
سلطانه وتحت اشراق نوره ويتضح له من جماله وعلو درجته ما يبادي فيقول هذا ربي
ثم اذا اتضح له ما فوقه مما رتبته رتبة القمر راى افول الاول في مغرب الهوى بالاضافة
الى ما فوقه فقال لا احب الآفلين وكذلك يرتقي حتى ينتهي الى ما مثاله الشمس
فيراها اكبر واعلى فيراها قابلة للمثال بنوع مناسبة له معه والمناسبة مع ذوي
النقص نقص وافول ايضا فمنه يقول وجهت وجهي للذي الآية ومعنى الذي اشارة
مبهمة لا مناسبة لها اذ لو قال قائل ما مثال مفهوم الذي لم يتصور ان يجاب عنه
فالمنزه عن كل مناسبة هو الاول الحق ولذلك لما قال بعض الاعراب لرسول
الله صلى الله عليه وسلم ما نسبة الاله نزل في جوابه قل هو الله احد الله الصمد الى
آخرها معناه ان التقدس والتنزه عن النسبة نسبة ولذلك لما قال فرعون لموسى
عليه السلام وما رب العالمين كالطالب لماهيته لم يجب الا بتعريفه بافعاله اذ كانت
الافعال اظهر عند السائل فقال رب السموات والارض فقال فرعون لمن حوله
الا تستمعون كالمنكر عليه في عدوله في جوابه عن طلب الماهية فقال موسى ربكم

ورب آبائكم الأولين فنسبه فرعون الى الجنون اذ كان مطلبه المثال والماهية وهو يجيب عن
الأفعال فقال ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون فلنرجع الى الأنموذج فأقول علم التعبير
يعرفك منهاج ضرب المثال لأن الرؤيا جزء من النبوة الا ترى ان الشمس في الرؤيا
تعبيرها السلطان لما بينهما من المشاركة والمماثلة في معنى روحاني وهو الاستعلاء على الكافة
مع فيضان الآثار على الجميع والقمر تعبيره الوزير لافاضة الشمس نورها بواسطة القمر
على العالم عند غيبتها كما يفيض السلطان آثاره بواسطة الوزير على من يغيب عن حضرة
السلطان وان من يرى ان في يده خاتما يختم به افواه الرجال وفروج النساء فتعبيره انه
مؤذن يؤذن قبل الصبح في رمضان وان من رأى انه يصب الزيت في الزيتون فتعبيره
ان تحته جارية هي امه وهو لا يعرف واستقصاء ابواب التعبير يزيدك انسا بهذا الجنس
فلا يمكنني الاشتغال بعدها بل اقول كما ان الموجودات العالية الروحانية ما مثاله
الشمس والقمر والكواكب وكذلك فيها ما مثاله امثلة اخرى اذا اعتبرت منه اوصاف
اخر سوى النورانية فان كان في تلك الموجودات ما هو ثابت لا يتغير وعظيم لا يستصغر
ومنه ينفجر الى اودية القلوب البشرية مياه المعارف ونفائس المكاشفات فمثاله الطور وان كان
ثمة موجودات تتلقى تلك النفائس بعضهم ولابعد بعض فمثالها الوادي وان كانت
تلك النفائس بعد اتصالها بالقلوب البشرية تجري من قلب الى قلب فهذه القلوب
ايضا اودية ومفتتح الوادي قلوب الانبياء صلوات الله عليهم ثم قلوب العلماء ثم من بعدهم
فان كانت هذه الأودية قلوب الانبياء دون الأول وعنها تغترف فبالحري ان يكون
الأول هو الوادي الأيمن لكثرة يمنه وعلو درجته وان كان الوادي الأدون يتلقى من آخر
درجات الوادي الأيمن فمعرفه شاطئ الوادي الأيمن دون لجته وصدره وان كان روح النبي
صلى الله عليه وسلم سراجا منيرا وكان ذلك الروح مقتبسا بواسطة وحي كما قال
اوحينا اليك روحا من امرنا فما منه الاقتباس مثاله النار وان كان المتلقفون من
الأنبياء بعضهم على محض التقليد لما سمعه وبعضهم على حظ من البصيرة فمثال

حظ

حظ المقلد الخبر ومثال حظ المستبصر الجذوة والقبس والشهاب فان صاحب الذوق
مشارك للنبي صلى الله عليه وسلم في بعض الأحوال ومثال تلك المشاركة الاصطلاء
وانما يصطلي بالنار من معه النار لا من يسمع خبرها وان كان اول منزل الأنبياء
الترقي الى العالم المقدس عن كدورة الحس والخيال فمثال ذلك الوادي المقدس وان كان
لا يمكن وطء ذلك الوادي المقدس الا باطراح الكونين اعني الدنيا والآخرة والتوجه
الى الواحد الحق لأن الدنيا والآخرة متقابلان متحاذيان وهما عارضان للجوهر النوراني
البشري يمكن اطراحهما مرة والتلبس بهما مرة اخرى فمثال اطراحهما عند الاحرام والتوجه
الى كعبة القدس خلع النعلين بل نترقى الى حضرة الربوبية مرة اخرى ونقول ان كان
في تلك الحضرة شيء بواسطته ينتقش العلوم المفصلة في الجواهر القابلة لها فمثاله
القلم وان كان في تلك الجواهر القابلة لها ما بعضها سابقة الى التلقي ومنها ما
ينتقل الى غيرها فمثاله اللوح والكتاب والرق المنشور وان كان فوق الناقش للعلوم
شيء هو مسخر له فمثاله اليد وان كان لهذه الحضرة المشتملة على اليد واللوح والقلم
والقلم والكتاب ترتيب منظوم فمثاله الصورة وان كان يوجد للصورة الانسانية نوع
ترتيب على هذه المشاكلة فهي على صورة الرحمن وفرق بين ان يقال على صورة الرحمن
وبين ان يقال على صورة الله لأن الرحمة الالهية هي التي صورت الحضرة الالهية بهذه
الصورة ثم انعم على آدم عليه السلام فأعطاه صورة مختصرة جامعة لجميع اصناف ما في
العالم اذ هو نسخة من العالم مختصرة وصورة آدم اعني هذه الصورة مكتوبة بخط الله وهو
الخط الالهي الذي ليس برقم حروف اذ تنزه خطه عن ان يكون رقما وحروفا كما
تنزه كلامه عن ان يكون صوتا وحرفا وقلمه عن ان يكون خشبا وقصبا ويده عن ان
يكون لحما وعظما ولولا هذه الرحمة لعجز الآدمي عن معرفة ربه اذ لا يعرف ربه الا
من عرف نفسه فلما كان هذا من آثار الرحمة صار على صورة الرحمن لا على صورة
الله فان حضرة الالهية غير حضرة الرحمة وغير حضرة الملك وغير حضرة الربوبية ولذلك

امر بالليان بجميع هذه الحضرات فقال قل اعوذ برب الناس ملك الناس اله الناس
ولولا هذا المعنى لكان قوله ان الله خلق ادم على صورة الرحمن غير منظوم لفظاً بل
كان ينبغي ان يقول على صورته واللفظ الوارد في الصحيح الرحمن والان تميز حضرة
الملك عن الالهية والربوبية يستدعي شرحا طويلا فلنتجاوز فيكفيك من الانموذج
هذا القدر فان هذا بحر لا ساحل له وان وجدت في نفسك نفورا عن هذه
المثال فانس قلبك بقوله تعالى انزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها وانه كيف
ورد في التفسير ان الماء هو المعرفة والاودية القلوب **خاتمة واعتذار**
لا تظنن من هذا الانموذج وطريق ضرب من المثال رخصة مني في رفع الظواهر واعتقادا
في ابطالها حتى اقول مثلا لم يكن لموسى نعل ولم يسمع الخطاب بقوله اخلع نعليك
حاش لله فان ابطال الظواهر راى الباطنية الذين نظروا بالعين العوراء الى احد
العالمين ولم يعرفوا الموازنة بين العالمين ولم يفهموا وجهه كما ان ابطال الاسرار مذهب
الحشوية فالذي يجرد للظاهر حشوي والذي يجرد للباطن باطني والذي يجمع بينهما
كامل ولذلك قال النبي عليه الصلوة والسلام للقران ظاهر وباطن وحد ومطلع وربما
نقل هذا عن علي رضي الله عنه موقوفا عليه بل اقول فهم موسى الامر بخلع النعلين اطراح
الكونين فامتثل الامر ظاهرا بخلع نعليه وباطنا باطراح العالمين فهذا هو الاعتبار
اي العبور من الشيء الى غيره ومن الظاهر الى السر وفرق بين من يسمع قول رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب فيقتني الكلب في البيت ويقول ليس
الظاهر مرادا بل المراد تخلية بيت القلب عن كلب الغضب لانه يمنع المعرفة التي هي من انوار
الملائكة اذ الغضب غول العقل وبين من يمتثل الامر في الظاهر ثم يقول الكلب ليس
كلبا لصورته بل لصفته وهي السبعية والضراوة واذا كان حفظ البيت الذي هو مقر
الشخص والبدن واجبا عن صورة الكلب فبان يجب حفظ بيت القلب وهو مقر الجوهر
الحقيقي الخاص عن شر الكلبية اولى فانا اجمع بين الظاهر والسر جميعا فهذا هو الكامل وهو

(المعنى)

المعنى بقولهم الكامل من لا يطفئ نور معرفته نور ورعه ولذلك ترى الكامل لا تسمح نفسه
بترك حد من حدود الشرع مع كمال البصيرة وهذه مغلطة منها وقع بعض السالكين
الى الاباحة وطي بساط الاحكام ظاهرا حتى انه ربما ترك احدهم الصلوة وزعم
انه دائما في الصلوة بسره وهذا اسوء مغلطة الحمقى من الاباحية الذين ماخذهم
ترهات كقول بعضهم ان الله غني عن عملنا وقول بعضهم ان الباطن مشحون
بالخبائث ليس يمكن تزكيتها ولا مطمع في استيصال الغضب والشهوة لظنه
انه مامور باستيصالهما وهذه حماقات واما ما ذكرناه فهو كبوة جواد وهفوة سالك حسده
الشيطان فدلاه بحبل الغرور فارجع الى حديث النعلين واقول ظاهر خلع النعلين
تنبيه على ترك الكونين فالامتثال في الظاهر حق واداؤه الى السر الباطن حقيقة
ولكل حق حقيقة واهل هذا التنبيه هم الذين بلغوا درجة الزجاجة كما سيأتي معنى
الزجاجة لان الخيال الذي من طينته يتخذ المثال صلب كثيف يحجب الاسرار ويحول
بينك وبين الانوار ولكن اذا صفا حتى صار كالزجاج الصافي صار غير حائل عن الانوار
بل صار مع ذلك مؤديا للانوار بل صار مع ذلك حافظا للانوار عن الانطفاء
بعواصف الرياح وسيأتيك قصة الزجاجة (فاعلم) ان العالم الكثيف الخيالي
السفلي صار في حق الانبياء زجاجة ومشكوة للانوار ومصفاة للاسرار ومرقاة
الى العالم الاعلى وبهذا يعرف ان المثال الظاهر حق ووراءه سر وقس على هذا
الطور والنار وغيره **دقيقة** اذا قال الرسول عليه الصلوة والسلام رأيت
عبد الرحمن بن عوف يدخل الجنة حبوا فلا تظن انه لم يشاهده بالبصر كذلك
بل يراه في يقظته كما يراه النائم في نومه وان كان عبد الرحمن مثلا نائما في
بيته بشخصه فان النوم انما اثر في امثال هذه المشاهدات لقهره سلطان الحواس
عن النور الباطن الالهي فان الحواس شاغلة له وجاذبة اياه الى عالم الحس وصارفة
وجهه عن عالم الغيب والملكوت وبعض الانوار النبوية قد يستعلي ويستولي

بحيث لا ينجر الحواس الى عالمها ولا تشغله فيشاهد في اليقظة ما يشاهد غيره
في المنام ولكنه اذا كان في غاية الكمال لم يقتصر ادراكه على محض الصورة المبصرة بل
عبر منها الى السر فانكشف له ان الايمان جاذب الى العالم الذي يعبر عنه بالجنة
وهي العالم الاعلى والغنا والثروة جاذب الى الحيوة الحاضرة وهي العالم الاسفل
فان كان الجاذب الى اشتغال الدنيا اقوى او مقاوما للجاذب الآخر صد
عن المسير الى الجنة وان كان جاذب الايمان اقوى اورث عسرا او بطوا في سيره فيكون
مثاله من عالم الشهادة الحبو فكذلك يتجلى له انوار الاسرار من وراء زجاجات
الخيال وكذلك لا يقتصر في حكمه على عبد الرحمن وان كان ابصاره مقصورا عليه
بل يحكم به على كل من قويت بصيرته واستحكم ايمانه وكثرت ثروته نزاحم الايمان لكن
لا يقاومه لرجحان قوة الايمان فهذا يعرفك كيفية ابصار الانبياء الصور
وكيفية مشاهدتهم المعاني من وراء الصور والاغلب ان يكون المعنى يشاهدها الى المشاهد
الباطنة ثم يترشح منها على الروح الخيالي فينطبع الخيال الصورة موازنة للمعنى محاكية له
وهذا النمط من الوحي في اليقظة يفتقر الى التأويل كما انه في النوم يفتقر الى
التعبير والواقع منه في النوم نسبته الى الخواص النبوية نسبة الواحد الى الثلث فان
الذي انكشف لنا من الخواص النبوية ينحصر شعبها في ثلاثة اجناس وهذا واحد
من تلك الاجناس الثلاثة **القطب الثاني** في بيان مراتب الارواح البشرية
النورانية اذ بمعرفتها تعرف امثلة القرآن فالاول منها الروح الحساس وهو الذي
يتلقى ما تورده الحواس الخمس وكأنه اصل الروح الحيواني واوله اذ به يصير الحيوان
حيوانا وهو موجود للصبي الرضيع (الثاني) الروح الخيالي وهو الذي
تثبت ما اورده الحواس ويحفظه مخزونا عنده ليعرضه على الروح العقلي الذي فوقه
عند الحاجة اليه وهذا لا يوجد للصبي الرضيع في بداية نشوه ولذلك يولع بالشيء
ليأخذه فاذا غاب عنه ينساه ولا تنازعه نفسه اليه الى ان يكبر قليلا فيصير بحيث اذا

غاب عنه بكى وطلب لبقاء صورته محفوظة في خياله وهذا قد يوجد لبعض الحيوانات دون بعض
ولا يوجد للفراش المتهافت على النار لانه يقصد النار لشغفه بضياء النار فيظن ان السراج
كوة مفتوحة الى موضع الضياء فيلقي نفسه عليه فيتأذى به لكنه اذا جاوزه وحصل في الظلمة
عاوده مرة بعد اخرى ولو كان له الروح الحافظ المتثبت لما اداه الحس اليه من الالم لما
عاوده بعد ان تضرر به مرة فالكلب اذا ضرب مرة بخشبة بعد ذلك من بعيد هرب
(الثالث) الروح العقلي الذي تدرك به المعاني الخارجة عن الحس والخيال وهو
الجوهر الانسي الخاص ولا يوجد للبهائم ولا للصبيان ومدركاته المعارف الضرورية الكلية
كما ذكرناه عند ترجيح نور العقل على نور العين (الرابع) الروح الفكري وهو الذي
يأخذ العلوم العقلية المحضة فيوقع بينها تأليفات وازدواجات ويستنتج منها معارف
شريفة ثم اذا استفاد نتيجتين مثلا الف بينهما مرة اخرى واستفاد نتيجة اخرى
ولا يزال يتزايد كذلك الى غير نهاية (الخامس) الروح القدسي النبوي الذي
يختص به الانبياء وبعض الاولياء ومنه يتجلى لوائح الغيب واحكام الآخرة وجملة
من معارف ملكوت السموات والارض بل من المعارف الربانية التي يقصر دونها
الروح العقلي والفكري واليه الاشارة بقوله وكذلك اوحينا اليك روحا من
امرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء
من عبادنا ولا يبعد ايها العاكف في عالم العقل ان يكون وراء العقل طور آخر
يظهر فيه ما لا يظهر في العقل كما لا يبعد كون العقل طورا وراء التمييز والاحساس
ينكشف فيه غرائب وعجائب يقصر عنها الاحساس والتمييز ولا تجعل اقصى الكمال
وقفا على نفسك وان اردت مثالا مما نشاهد من جملة خواص البشر فانظر الى
ذوق الشعر كيف يختص به قوم من الناس وهو نوع احساس وادراك يحرم عنه بعضهم
حتى عندهم الالحان الموزونة من المزحفة وانظر كيف عظمت قوة الذوق في
طائفة حتى استخرجوا بها الموسيقى والاغاني والاوتار وصنوف الدستانات التي

التي منها المحزن ومنها المطرب ومنها المنوم ومنها المضحك ومنها المجنن ومنها القاتل
ومنها الموجب للغشي وانما تقوى هذه الآثار فيمن له اصل الذوق واما العاطل عن
خاصية الذوق فيشارك في سماع الصوت فحسب وتضعف فيه الآثار وهو يتعجب
من صاحب الذوق والوجد والغشي ولو اجتمع العقلاء كلهم من ارباب الذوق على
تفهيمه معنى الذوق لم يقدروا عليه فهذا مثال في امر خسيس حسي لكنه قريب الى فهمك
فقس به الذوق الخاص النبوي واجتهد ان تصير من اهل الذوق بشيء من ذلك الروح
فان للاولياء منه حظا وافرا فان لم تقدر فاجتهد ان تصير بالاقيسة التي ذكرناها
والتنبيهات التي رمزنا اليها من اهل العلم بها فان لم تقدر فلا اقل من ان تكون من اهل
الايمان بها ويرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات والعلم فوق الايمان
والذوق فوق العلم فالذوق وجدان والعلم قياس والايمان قبول مجرد بالتقليد
وحسن الظن باهل الوجدان او باهل العرفان فاذا عرفت هذه الارواح الخمسة فاعلم
انها بجملتها انوار لانها تظهر اصناف الموجودات والحسي والخيالي منها وان كان تشارك
البهائم في جنسها لكن الذي للانسان منه نمط اخر اشرف واعلى وخلق الانسان
لغرض اجل واسمى اما الحيوانات فلم يخلق لها الا ليكون آلتها في طلب غذائها في
تسخرها للادمي وانما خلق للادمي ليكون شبكة يقتنص بها من العالم الاسفل مبادي
المعارف الدينية الشريفة اذ الانسان اذا ادرك بالحس شخصا معينا اقتبس عقله منه
معنى عاما مطلقا كما ذكرنا في مثال حبو عبد الرحمن بن عوف واذا عرفت هذه
الارواح الخمسة فلنرجع الى غرض الامثلة في بيان امثلة هذه الاية (اعلم)
ان القول في موازنة هذه الارواح الخمسة المشكوة والزجاجة والمصباح والشجرة
والزيت يمكن تطويله لكني اوجزه واقتصر على التنبيه على طريقه فاقول اما الروح
الحساس فاذا نظرت الى خاصيته وجدت انواره خارجة من ثقب عدة كالعينين
والاذنين والمنخرين وغيرها واوفق مثال العالم السفلي الكثيف لان الشيء المتخيل

(ذو مقدار)

ذو مقدار وشكل وجهات محصورة مخصوصة وهو على نسبة من المتخيل من قرب او
بعد ومن شان الكثيف الموصوف باوصاف الاجسام ان يحجب عن الانوار العقلية المحضة
التي تتنزه عن الوصف بالجهات والمقادير والقرب والبعد (الثاني) ان هذا
الخيال الكثيف اذا صفي ورقق وهذب وضبط صار موازنا للمعاني العقلية ومؤديا
انوارها وغير حائل عن اشراق نورها منها (الثالث) ان الخيال في بداية
الامر محتاج اليه جدا لتنضبط بها المعارف العقلية فلا تضطرب ولا تتزلزل
ولا تنتشر انتشارا يخرج عن الضبط فنعم المعين المثالات الخيالية للمعارف العقلية
وهذه الخواص الثلث لا تجدها في عالم الشهادة بالاضافة الى الانوار المبصرة الا للزجاجة
فانها في الاصل من جوهر كثيف لكن لو صفي ورقق حتى لا يحجب نور المصباح بل
يؤديه على وجهه ثم يحفظه عن الانطفاء بالرياح العاصفة والحركات العنيفة وهو
اولى مثال له (واما الثالث) وهو الروح العقلي الذي به ادراك المعارف
الشريفة الالهية فلا يخفى عليك وجه تمثيله بالمصباح وقد عرفت هذا فيما سبق
من بيان كون الانبياء سراجا منيرا واما الرابع وهو الروح الفكري فمن خاصيته
انه يبتدئ من اصل واحد ثم يتشعب منه شعبتان ثم في كل شعبة شعبتان
وهكذا الى ان تكثر الشعب بالتقسيمات العقلية ثم تفضي بالاخرة الى نتائج هي
ثمراتها ثم تلك الثمرات تعود فتصير بذورا لامثالها اذ يمكن ايضا تلقيح بعضها
بالبعض حتى تتادى الى ثمرات وراءها كما ذكرناه في كتاب القسطاس المستقيم
فبالحري ان يكون مثاله من هذا العالم الشجرة واذا كانت ثمارها مادة لتضاعف
انوار المعارف وثباتها وبقائها فبالحري ان لا يمثل بشجرة السفرجل والتفاح
والرمان وغيرها بل من جملة سائر الاشجار بالزيتونة خاصة لان لب ثمرها هو الزيت
الذي هو مادة المصابيح ويختص من سائر الادهان بخاصية زيادة الاشراق مع قلة
الدخان واذا كانت الماشية التي يكثر نسلها والشجرة التي تكثر ثمرتها فالذي لا

لا يتناهى ثمراتها الى حد محدود واولى ان تسمى شجرة مباركة واذا كانت شعب
الافكار العقلية المحضة خارجة عن قبول الاضافة الى الجهات والقرب والبعد فبالحرى
ان تكون لا شرقية ولا غربية (واما الخامس) وهو الروح القدسي النبوي
المنسوب الى الاولياء اذا كانت في غاية الشروق والصفاء وكانت المفكرة منقسمة
الى ما يحتاج الى تعليم وتنبيه ومدد من خارج حتى يستمر في انواع المعارف وبعضها
يكون في شدة الصفا كأنه يتنبه بنفسه من غير مدد من خارج فبالحرى ان يعبر
عن الصافي البالغ للاستعداد بانه يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار اذ في الاولياء
من يكاد يشرق نوره حتى يكاد يستغني عن مدد الانبياء وفي الانبياء من يكاد يستغني
عن مدد الانبياء في الانبياء من يكاد يستغني عن مدد الملائكة فهذا المثال موافق
لهذا القسم واذا كانت هذه الانوار مترتبة بعضها على بعض فالحس هو الاول
وهو كالتوطئة والتمهيد للخيال اذ لا يتصور الخيال الا موضوعا بعده والفكري والعقلي
يكونان بعدهما فبالحرى ان يكون الزجاجة كالمحل للمصباح والمشكاة كالمحل للزجاجة
فيكون المصباح في زجاجة والزجاجة في المشكاة واذا كانت هذه كلها انوارا بعضها
فوق بعض فبالحرى ان يكون نورا على نور **خاتمة**
هذا المثال انما يصح لقلوب المؤمنين او لقلوب الانبياء والاولياء لا القلوب الكفار
فان النور مراد للهداية فالمصروف عن طريق الهدى باطل وظلمة بل اشد من الظلمة لان الظلمة
لا تهدي الى الباطل كما لا تهدي الى الحق وعقول الكفار انتكست وكذلك سائر
ادراكاتهم وتعاونت على الاضلال في حقهم فمثالهم كرجل في بحر لجي يغشيه موج من
فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض والبحر اللجي هو الدنيا بما فيها من
الاخطار المهلكة والاشغال المردية والكدورات المعمية **الموج الاول**
موج الشهوات الداعية الى الصفات البهيمية والاشتغال باللذات الحسية وقضاء الاوطار
الدنيوية حتى يأكلوا ويتمتعوا كما تأكل الانعام وبالحرى ان يكون هذا الموج مظلما

لان

لان حب الشيء يعمي ويصم **الموج الثاني** موج الصفات السبعية الباعثة على الغضب
والعداوة والبغضاء والحقد والحسد والمباهاة والمفاخرة والتكاثر وبالحرى ان
يكون مظلما لان الغضب غول العقل وبالحرى ان يكون هذا هو الموج الاعلى
لان الغضب في الاكثر مستول على الشهوات حتى اذا هاج اذهل عن الشهوات
واغفل عن اللذات المشتهاة واما الشهوة فلا تقاوم الغضب الهائج واما
السحاب فهو الاعتقادات الخبيثة والظنون الكاذبة والخيالات الفاسدة التي صارت
حجابا بين العبد وبين الايمان ومعرفة الحق والاستضاءة بنور شمس القرآن والعقل
فان خاصية السحاب ان يحجب اشراق نور الشمس واذا كانت هذه كلها مظلمة فبالحرى
ان يكون ظلمات بعضها فوق بعض واذا كانت هذه الظلمات تحجب عن معرفة
الاشياء القريبة فضلا عن البعيدة ولذلك حجب الكفار عن معرفة عجائب احوال النبي
عليه الصلوة والسلام مع قرب متناوله وظهوره بادنى تأمل فبالحرى ان يعبر عنه
بانه اذا اخرج يده لم يكد يريها فاذا كان منبع الانوار كلها النور الاول الحق كما سبق
فبالحرى ان يعتقد كل موحد ان من لم يجعل الله له نورا فما له من نور فيكفيك
هذا القدر من اسرار هذه الاية فاقنع به والله اعلم **الفصل الثالث**
في معنى قوله عليه الصلوة والسلام ان لله سبعين حجابا من نور وظلمة لو كشفها لاحرقت
سبحات وجهه كل من ادرك بصره وفي بعض الروايات سبعمائة وفي بعضها سبعون
الفا فاقول ان الله متجل في ذاته لذاته ويكون الحجاب بالاضافة الى محجوب
لا محالة وان المحجوبين من الخلق ثلثة اقسام منهم من حجب بمجرد الظلمة
ومنهم من حجب بالنور المحض ومنهم من حجب بنور مقرون بظلمة واصناف
هذه الاقسام كثيرة اتحقق كثرتها ويمكنني ان اتكلف في حصرها في سبعين
ولكن لا اثق بما يلوح من تحديد وحصر اذ لا ادري انه المراد بالحديث ام لا اما الحصر
الى سبعمائة وسبعين الفا فذلك لا يستقل به الا القوة النبوية مع ان ظاهر

ظنّ انّ هذه الاعداد مذكورة للتكثير لا للتحديد وقد يجري العادة بذكر عدد لا يراد به
الحصر بل التكثير والله اعلم بتحقيق ذلك فذلك خارج عن الوسع وانّما الذي يمكنني
الان ان اعرفك هذه الاقسام وبعض اصناف كل قسم فاقول القسم الاول
وهو المحجوبون بمحض الظلمة هم الملحدة الذين لا يؤمنون بالله واليوم الاخر وهم
الذين استحبّوا الحيوة الدنيا على الاخرة لانّهم لا يؤمنون بالاخرة اصلا وهؤلاء
صنفان صنف تشوّق الى طلب سبب لهذا العالم فاحاله الى الطبع والطبع
عبارة عن صفة مذكورة في الاجسام حالّة فيها وهي مظلمة اذ ليس لها معرفة وادراك
ولا خبر لها من نفسها ولا ممّا يصدر منها وليس لها نور يدرك بالبصر الظاهر ايضا
الصنف الثاني هم الذين شغلوا بانفسهم ولم يتفرّغوا الطلب
السبب ايضا بل عاشوا عيش البهايم وكان حجابهم نفوسهم الكدرة وشهواتهم
المظلمة ولا ظلمة اشدّ من الهوى والنفس قال الله تعالى افرأيت من اتّخذ الهه هواه
وقال صلّى الله عليه وسلّم الهوى ابغض اله عبد في الارض وهؤلاء انقسموا فرقا
فرقة زعمت انّ غاية المطلب في الدنيا هي الاوطار ونيل الشهوات وادراك
اللذّات البهيمية من منكح ومطعم وملبس وهؤلاء عبيد اللذّة يعبدونها ويطلبونها
ويعتقدون انّ نيلها غاية السعادات رضوا لانفسهم ان يكونوا بمنزلة البهايم
بل اخسّ منها فاي ظلمة اشدّ من ذلك فقد حجب هؤلاء بمحض الظلمة وفرقة
رات انّ غاية السعادات هي الغلبة والاستيلاء والسبي والاسر والقتل وهذا مذهب
الاعراب والاكراد كثير من الحمقى وهم محجوبون بظلمة الصفات السبعية لغلبتها
عليهم وكون ادراك مقصودها اعظم اللذّات وهؤلاء قنعوا بان يكونوا بمنزلة
السباع بل اخسّ وفرقة رات انّ غاية كثرة السعادات كثرة المال
واتساع الضياع لانّ المال هو الة قضاء الشهوات كلّها وبها يحصل للانسان
الاقتدار على قضاء الاوطار فهؤلاء همّتهم جمع المال واستكثار الضياع والعقار
والخيل

والخيل المسوّمة والانعام والحرث وكنز الدنانير تحت الارض فترى الواحد يجتهد طول عمره
بركب الاخطار في البوادي والاسفار في البحار ويجمع الاموال ويشحّ بها من نفسه فضلا
عن غيره وهم المرادون بقوله عليه الصلوة والسلام تعس عبد الدرهم تعس عبد الدنانير
واي ظلمة اعظم ممّا يلبس على الانسان انّ الذهب والفضّة حجران لا يراد ان اعيانهما وهي
اذا لم يقض بها الاوطار ولم تنفق فهي والحصى بمثابة وفرقة ترقّت من جهالة هؤلاء
وتغافلت وزعمت انّ اعظم السعادات في اتّساع الجاه والصيت وانتشار الذكر وكثرة
الاتباع ونفوذ الامر المطاع فتراها لا همّ لها الّا المراياة وعمارة مطارح الناظرين حتّى
انّ الواحد قد يجوع في بيته ويحمل الضرّاء ويصرف ماله الى ثياب يتجمّل بها عند خروجه
كيلا ينظر اليه بعين الحقارة واصناف هؤلاء لا يحصون وكلّهم محجوبون عن الله
بمحض الظلمة وهي نفوسهم المظلمة ولا معنى في ذكر احاد الفرق بعد وقوع التنبيه على
الاجناس ويدخل في جملة هؤلاء جماعة يقولون بلسانهم لا اله الّا الله لكن ربّما
حملهم على ذلك خوف او استظهار بالمسلمين وتجمّل بهم او استمداد من مالهم او لاجل
التعصّب لنصرة مذهب الاباء فهؤلاء اذا لم تحملهم هذه الكلمة على العمل الصالح فلا
تخرجهم الكلمة من الظلمات الى النور بل اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور
الى الظلمات اما من اثّرت فيه الكلمة بحيث ساءته سيّئته وسرّته حسنته فهو خارج
عن محض الظلمة وان كان كثير المعصية القسم الثاني طائفة حجبوا بنور مقرون
بظلمة وهم ثلثة اصناف صنف منشأ ظلمتهم من الحسّ وصنف منشأ ظلمتهم من
الخيال وصنف منشأ ظلمتهم من مقايسات عقلية فاسدة الصنف الاوّل
الممنوعون بالظلمة الحسّية وهم طوائف لا يخلو واحد منهم عن مجاوزة الالتفات
الى نفسه وعن التألّه والتشوّق الى معرفة ربّه واوّل درجاتهم عبدة الاوثان واخرهم
الثنويّة وبينهما درجات فالطائفة الاولى عبدة الاوثان علموا على الجملة انّ
لهم ربّا يلزمهم ايثاره على نفوسهم المظلمة واعتقدوا انّ ربّهم اعزّ من كلّ شيء وانفس

من كل شيء نفيس ولكن حجبهم ظلمة الحس عن ان يجاوزوا العالم المحسوس فاتخذوا
من انفس الجواهر كالذهب والفضة والياقوت اشخاصا مصورة باحسن الصور فاتخذوها
آلهة فهؤلاء محجوبون بنور العزة والجمال والعزة والجمال من صفات الله تعالى وانوار
ولكنهم الصقوها بالاجسام المحسوسة وصدهم عن ذلك ظلمة الحس فان الحس ظلمة
بالاضافة الى العالم الروحاني العقلي كما سبق الطائفة الثانية
جماعة من اقاصي الترك ليس لهم شريعة ولا ملة يعتقدون ان لهم ربا وانه اجمل الاشياء
واذا راوا انسانا في غاية الجمال او شجرا او فرسا او غير ذلك سجدوا له وقالوا انه ربنا
فهؤلاء محجوبون بنور الجمال مع ظلمة الحس وهم ادخل في ملاحظة النور من عبدة
الاوثان لانهم يعبدون الجمال المطلق دون الشخص الخاص فلا يخصصونه بشخص
ثم يعبدون الجمال المطبوع لا المصنوع من جهتهم وبايديهم وطائفة ثالثة
قالوا ينبغي ان يكون ربنا نورانيا في ذاته بهيا في صورته ذا سلطان في نفسه
مهيبا في حضرته لا يطاق القرب منه ولكن ينبغي ان يكون محسوسا اذ لا معنى لغير
المحسوس عندهم ثم وجدوا النار بهذه الصفة فعبدوها واتخذوها ربا فهؤلاء
محجوبون بنور السلطنة والبهاء وكل ذلك من انوار الله تعالى وطائفة رابعة
زعموا ان النار نستولي عليها نحن بالاطفاء والاشعال فهي تحت تصرفنا فلا يصلح
للالهية بل ما يكون بهذه الصفات ثم نكون نحن تحت تصرفه ويكون مع ذلك
موصوفا بالعلو والارتفاع ثم كان المشهور فيما بينهم علم النجوم واضافة
التاثيرات اليها فمنهم من عبد الشعرى ومنهم من عبد المشتري الى غير ذلك
من الكواكب بحسب ما اعتقدوه في النجوم من كثرة التاثيرات فهؤلاء محجوبون
بنور العلو والاشراق والاستيلاء وهي من انوار الله تعالى وطائفة خامسة
ساعدت هؤلاء في الماخذ ولكن قالت لا ينبغي ان يكون ربنا موسوما بالصغر
بالاضافة الى الجواهر النورانية بل ينبغي ان يكون اكبرها فعبدوا الشمس وقالوا

هي اكبر فهؤلاء محجوبون بنور الكبرياء مع بقية الانوار مقرونا بظلمة الحس وطائفة سادسة
ترقوا من هؤلاء فقالوا النور كله لا ينفرد به الشمس بل لغيرها ايضا انوار ولا ينبغي
للرب شريك في نورانيته فعبدوا النور المطلق الجامع لجميع انوار العالم وزعموا انه رب
العالمين والخيرات كلها منسوبة اليه ثم لما راوا في العالم شرورا فلم يستحسنوا اضافتها
اليه تنزيها له عن الشر فجعلوا بينه وبين الظلمة منازعة واحالوا العالم الى النور والظلمة
وربما سموها يزدان واهرمن وهم الثنوية فيكفيك هذا القدر تنبيها على هذا الصنف
فهم اكثر من ذلك الصنف الثاني من المحجوبين ببعض الانوار مقرونا بظلمة الخيال
وهم الذين جاوزوا الحس واثبتوا وراء المحسوسات امرا لكن لم يمكنهم مجاوزة الخيال
فعبدوا موجودا قاعدا على العرش فاخسهم رتبة المجسمة ثم اصناف الكرامية باجمعهم
ولا يمكنني شرح مقالاتهم ومذاهبهم فلا فائدة في التكثير لكن ارفعهم درجة من نفى
الجسمية وجميع عوارضها الا الجهة المخصوصة بجهة فوق لان الذي لا ينسب الى
الجهات ولا يوصف بانه خارج العالم ولا داخله لم يكن عندهم موجودا اذ لم يكن متخيلا
ولم يدركوا ان اول درجات المعقولات تجاوز النسبة الى الجهات الصنف الثالث
المحجوبون بالانوار الالهية مقرونة بمقايسات عقلية فاسدة مظلمة فعبدوا الها سميعا
بصيرا متكلما عالما قادرا مريدا حيا منزها عن الجهات لكن فهموا هذه الصفات
على حسب مناسبة صفاتهم وربما صرح بعضهم فقال كلامه كلامنا وربما ترقى بعضهم
فقال لا بل هو كحديث نفسنا ولا صوت ولا حرف وكذلك اذا طولبوا بحقيقة
السمع والبصر والحيوة رجعوا الى التشبيه من حيث المعنى وان انكروها باللفظ اذ لم
يدركوا اصلا معاني هذه الاطلاقات في حق الله تعالى وكذلك قالوا في ارادته
انها حادثة مثل ارادتنا وانها طلب وقصد مثل قصدنا وهذه مذاهب مشهورة
ولا حاجة الى تفصيلها فهؤلاء محجوبون بجملة من الانوار مع ظلمة المقايسات العقلية
فهؤلاء كلهم اصناف القسم الثاني الذين حجبوا بنور مقرون بظلمة

القسم الثالث المحجوبون بمحض الأنوار وهم أصناف ولا يمكن احصاؤهم فأشير الى
ثلاثة أصناف منهم الأول طائفة عرفوا معاني الصفات تحقيقاً وأدركوا ان اطلاق
اسم الكلام والارادة والقدرة والعلم وغيرها على صفاته ليس مثل اطلاقه على البشر فتحاشوا
عن تعريفه بهذه الصفات وعرفوه بالاضافة الى المخلوقات كما عرف موسى عليه السلام
من جواب قول فرعون وما رب العالمين فقالوا ان الرب المنزه المقدس عن معاني هذه
الصفات هو محرك السموات ومدبرها الصنف الثاني ترقوا عن هؤلاء من حيث
ظهر لهم ان في السموات كثرة وان محرك كل سماء خاصة موجود آخر يسمى ملكاً وفيهم
كثرة وانما نسبتهم الى الأنوار الالهية نسبة الكواكب ثم لاح لهم ان هذه السموات في
جرم فلك آخر يتحرك الجميع بحركته في اليوم والليلة مرة فالرب هو المحرك للجرم الأقصى
المنطوي على الأفلاك كلها اذ الكثرة منفية عنه الصنف الثالث ترقوا من هؤلاء وقالوا
ان تحريك الأجسام بطريق المباشرة ينبغي ان يكون خدمة لرب العالمين وعبادة له وطاعة
من عبد من عباده ويسمى ملكاً نسبته الى الأنوار الالهية المحضة نسبة القمر في الأنوار
المحسوسة فزعموا ان الرب هو المطاع من جهة هذا المحرك ويكون الرب تعالى محركاً للكل
بطريق الأمر لا بطريق المباشرة ثم في تفهيم ذلك الأمر وماهيته غموض يقصر عنه أكثر الأفهام
ولا يحتمله هذا الكتاب فهؤلاء الأصناف كلهم محجوبون بالأنوار المحضة وانما
الواصلون صنف رابع تجلى لهم أيضاً ان هذا المطاع موصوف بصفة تنافي الوحدانية
المحضة والكمال البالغ لسر لا يحتمل هذا الكتاب كشفه وان نسبة هذا المطاع نسبة
الشمس في الأنوار فتوجهوا من الذي يحرك السموات ومن الذي يحرك الجرم الأقصى ومن
الذي أمر بتحريكها فوصلوا الى موجود منزه عن كل ما أدركه بصر من قبله فأحرقت سبحات
وجهه الأول الأعلى جميع ما أدركه بصر الناظرين وبصيرتهم اذ وجدوه مقدساً منزهاً عن
جميع ما وصفناه من قبل ثم هؤلاء انقسموا فمنهم من أحرق منه جميع ما أدركه بصره
وانمحق وتلاشى لكن بقي هو ملاحظاً للجمال والقدس وملاحظاً ذاته في جماله الذي ناله

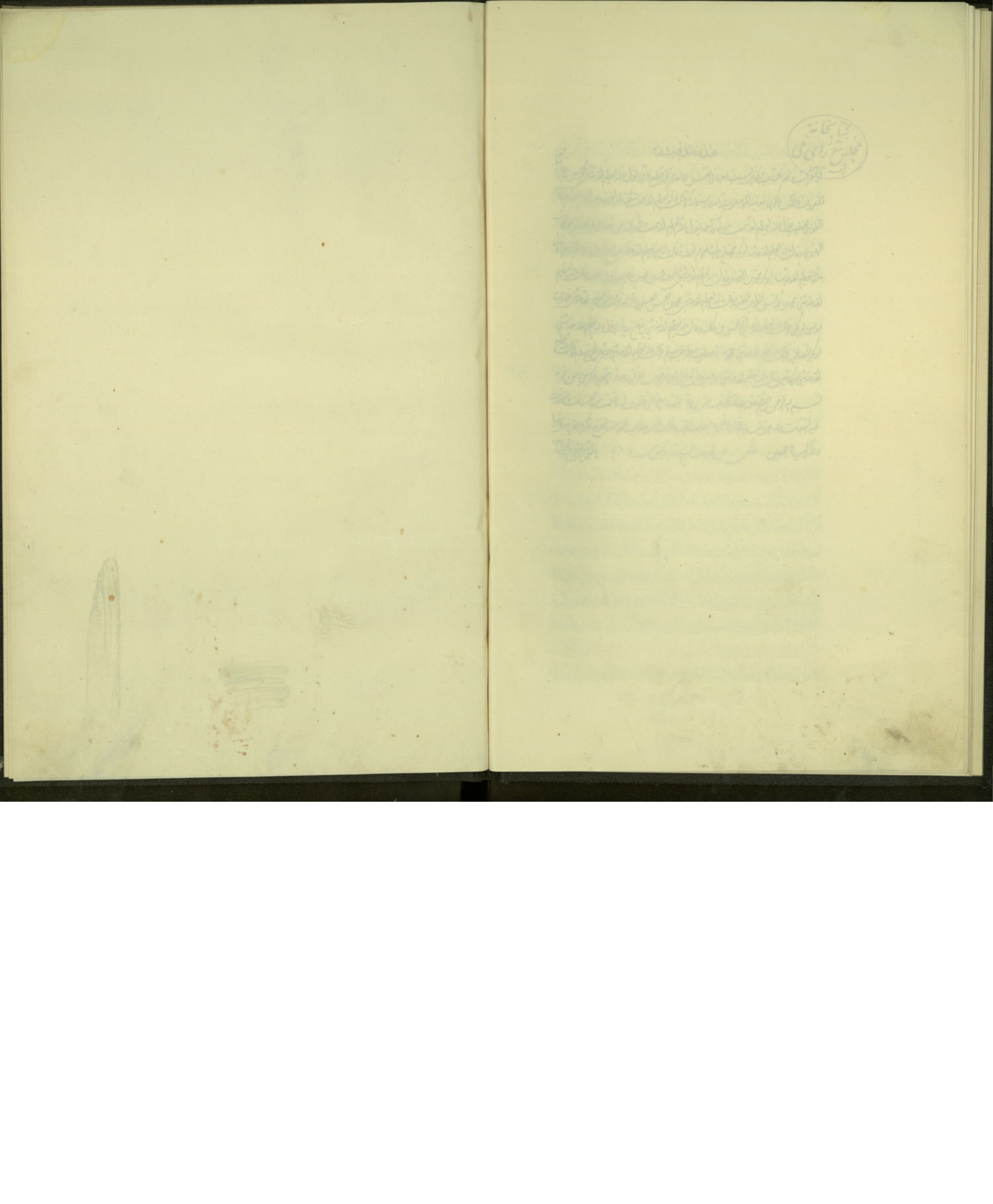
(بالوصول)

بالوصول الى الحضرة الالهية فانمحقت فيه المبصرات دون المبصر وجاوز هؤلاء طائفة
هم خواص الخواص فأحرقتهم سبحات وجهه وغشيهم سلطان الجلال فانمحقوا وتلاشوا
في ذاتهم ولم يبق لهم لحاظ الى انفسهم لفنائهم عن انفسهم ولم يبق الا الواحد الحق وصار
معنى قوله تعالى كل شيء هالك الا وجهه لهم ذوقاً وحالاً وقد أشرنا الى ذلك في
الفصل الأول وذكرنا انه كيف اطلقوا الاتحاد وكيف ظنوه فهذه نهاية الواصلين ومنهم
من يتدرج في الترقي والعروج على التفصيل الذي ذكرناه ولم يطل عليهم الطريق
فسبقوا في أول وهلة الى معرفة القدس وتنزيه الربوبية عن كل ما يجب تنزيهه
عنه فغلب عليهم أولاً ما غلب على الآخرين آخراً وهجم عليه التجلي دفعة فأحرقت
سبحات وجهه جميع ما يمكن ان يدركه بصر حسي وبصيرة عقلية ويشبه ان يكون
الأول طريق الخليل والثاني طريق الحبيب صلوات الله وسلامه عليهما والله أعلم
بأسرار أقدامهما وأنوار مقامهما فهذه اشارة الى أصناف المحجوبين ولا يبلغ عددهم
اذا فصلت المقامات وتتبع حجب السالكين سبعين ألفاً ولكن اذا فتشت لا تجد واحداً
منها خارجاً عن الأقسام التي حصرناها فانهم انما يحجبون بصفاتهم البشرية أو بالحس أو
بالخيال أو بمقايسة العقل أو بالنور المحض كما سبق فهذا ما حضرني في جواب هذه
الأسئولة مع ان السؤال صادفني والفكر منقسم والخاطر متشعب والهم الى غير هذا
الفن منصرف ومقترحي عليه ان يسأل الله تعالى العفو عما طغى به القلم أو زلت به القدم
فان خوض غمرة الأسرار الالهية خطر والاستشفاف لأنوار الالهية من وراء الحجب
البشرية عسير غير يسير والله أعلم وأحكم تم كتاب مشكوة الأنوار بحمد الله عالم الأسرار
وصلى الله على محمد سيد الأبرار وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين الأخيار الى يوم القرار
كتبه لنفسه الفقير المحتاج الى رحمة الرحيم عبد الحكيم بن حافظ يوسف اللهم وفقنا لمرضاتك [illegible]

حسب الأمر جناب الأقدس الأمجد [illegible]
[illegible] اقبال [illegible]
بدار [illegible] الشيخ عبد الرزاق [illegible]
محرر [illegible]
سنة ١٣٢

هذه فائدة جليلة

اذا قرأت هذه الكتاب فصدر بسملتها معها في نفس واحد من غير قطع فاني اقول بالله العظيم لقد حدثني الحسن بن علي بن الفقيه
المعروف والكسائي البكري بمدينة الموصل سنة احدى وستمائة وقال بالله العظيم لقد سمعت شيخنا ابا الفضل عبد الله بن احمد بن عبد القادر
الطوسي الخطيب يقول بالله العظيم لقد سمعت ولكن احمد يقول بالله العظيم لقد سمعت المبارك عن لفظ ابي بكر الفضل بن محمد الكاتب
الهروي وقال بالله العظيم لقد حدثنا ابو بكر محمد بن علي شافعي من لفظه وقال بالله العظيم لقد حدثني عبد الله بن المعروف بابن فرخسي قال
بالله العظيم لقد حدثنا ابو بكر محمد بن الفضل وقال بالله العظيم لقد حدثني ابو عبد الله بن محمد بن علي بن يحيى الورق الفقيه وقال بالله العظيم
لقد حدثني محمد بن يونس الطويل الفقيه وقال بالله العظيم لقد حدثني محمد بن الحسن العلوي الزاهد قال بالله العظيم لقد حدثني عمار بن
موسى البرمكي قال بالله العظيم لقد حدثني انس بن مالك وقال بالله العظيم لقد حدثني عمر بن الخطاب وقال بالله العظيم لقد حدثني
ابو بكر الصديق قال بالله العظيم لقد حدثني محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم قال بالله العظيم لقد حدثني جبرئيل عليه السلام وقال بالله العظيم
لقد حدثني ميكائيل وقال بالله العظيم لقد حدثني اسرافيل قال الله تعالى يا اسرافيل بعزتي وجلالي وجودي وكرمي من قرأ
بسم الله الرحمن الرحيم متصلة بفاتحة الكتاب مرة واحدة اشهدوا علي اني غفرت له وقبلت منه الحسنات وتجاوزت
عنه السيئات ولا احرق لسانه بالنار واجيره من عذاب القبر وعذاب النار وعذاب القيمة والفزع الاكبر ويلقاني قبل الانبياء
والاولياء اجمعين   نقل من الفوائد الشيخ الكامل قدس سره   في ليلة الاثنين العشرين من [illegible] ١٣٢



کتابخانه مجلس شورای ملی

